الاصلاح العثماني
في القرن الثامن عشر

نقد حالة الفن العسكري والهندسة والعلوم في القسطنطينية ١٨٠٣

تأليف المهندس سيّد مصطفى
تحقيق خالد زيادة

المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنشر

نقد حالة الفن العسكري والهندسة
والعلوم في القسطنطينية

الاصلاح العثماني في القرن الثامن عشر

نقد حالة الفن العسكري والهندسة والعلوم في القسطنطينية

١٨٠٣

تاليف : المهندس سيد مصطفى

تحقيق : خالد زيادة

المؤسسة العربية للدراسات والنشر

بناية برج الكارلتون ـ ساقية الجنزير

ت ٣١٢١٥٦ ـ برقياً : موكيالي ، بيروت

ص . ب ١١/٥٤٦٠ بيروت

الطبعة الأولى
حزيران (يونيو) ١٩٧٩

تمهيد

نشر في هذا الكتاب نصاً قصيراً إلى حد ما، لكن يملك أهمية خاصة في موضوعه. هذا الكتاب هو «نقد الحالة الراهنة للفن العسكري والهندسة والعلوم» كتبه مهندس تركي هو سيد مصطفى، من دعاة الاصلاح، يدافع فيه عن الانحازات الإصلاحية التي حققها السلطان سليم التالت (١٧٨٩ – ١٨٠٧).

والأمر اللافت للانتباه هو كتابة هذا النص باللغة الفرسية في ذلك الوقت المبكر، أما أهميته فتكمن في اعطائه فكرة واضحة عن تلك المنشآت والانحازات التي اتسم بناؤها بطابع الجدية في أول محاولة من نوعها لإصلاح الامبراطورية العثمانية واستعادة قوتها السابقة.

وترجمة هذا النص ونشره هنا ليس إلا محاولة لفهم تلك التجربة الإصلاحية التي ظهرت في نهاية القرن التامن عشر، مع اعتقادنا بأن فهم ومعرفة التجربة الإصلاحية

العثمانية لما يغني فهمنا وتحليلنا لتجربة العرب في العصور الحديثة. وقد يكون الأوان قد آن للعودة إلى دراسة تلك الحقبة التاريخية التي ما زالت مهملة، مع ان هذا الاهمال يترك آثاره وثغراته على الكتابة التاريخية الحديثة.

ومحاولتنا هنا ليست إلا متواضعة في هذا المجال، ونرجو أن تكون مفيدة لاثارة الانتباه حول ضرورة العودة إلى دراسة التاريخ والتجربة الإصلاحية العثمانية من جانب العرب. مع ان وقتاً غير قصير قد مرّ على ظهور دراسات في غاية الجدية في اللغات الألمانية والانكليزية والفرنسية حول دات الموضوع

ولكي يكون هذا النص القصير مفهوماً، قدمنا له بدراسة تشرح، باختصار، تطور الظروف في القرن الثامن عشر وصولاً إلى سليم الثالث، السلطان المصلح، الذي صدر الكتاب إبان عهده وفي ظل تجربته الإصلاحية. كذلك فإننا وضعنا حول النص هوامش كثيرة للغاية نفسها، وهي جعل الكتاب وظروفه معروفة ومفهومة للقارئ.

أما لجهة النص الذي نشر بالفرنسية لأول مرة عام ١٨٠٣، فقد استخدمنا في ترجمتنا النص نفسه لكن الذي نشر في باريس عام ١٨٠٩ وناشره هو لويس لانغليه (L Langlès) وقد تم نشره في الكتاب الدوري المعروف باسم: «المستودع الموسوعي».

— Magasın encyclopedıque 1809 V.5

وأما بالنسبة للترجمة فإننا لم نجد صعوبة ، لسهولة النص ، إلا في الحالات التي تصبح فيها العبارات بعيدة عن الكتابة الفرنسية الصحيحة ، كما يمكن لأي مطلع أن يتيقن من ذلك .

خـالد زيـادة

تقديم

الإصلاح العثماني
في القرن الثامن عشر

منذ أن تأسست الدولة العثمانية سنة ١٢٩٩ ، كانت مؤثرات غير إسلامية ، بيزنطية بشكل خاص ، قد دخلت في تشكيل مفهوم الحكم والادارة[١] . وبعد فتح القسطنطينية عام ١٤٥٣ ، الذي يعتبر نقطة فاصلة ليس في تاريخ العثمانيين فقط بل في تاريخ أوروبا ، فإن التأثيرات البيزنطية – الأوروبية قد تزايدت في أوجه متعددة من النشاط في الحياة العثمانية .

لكن بالرغم من هذه التأثيرات ، فإن الدولة الناشئة شكلت إمتداداً لتقاليد الحكم السلجوقي ، وقد مثلت دولة إسلامية حافظت على تقاليد إمبراطوريات الإسلام السابقة ،

١ – لمعرفة نشأة الدولة العثمانية راجع بشكل خاص كتاب محمد فؤاد كوبوريللي
KÖPPRULU , M F les origines de l'empire ottoman Paris 1935

في اعتمادها القرآن مصدراً للتشريع ، وإن كانت تحيد عن بنوده قليلاً أو كثيراً[٢] . وقد احتفظت الدولة العثمانية أيضاً بتلك النظرة الإسلامية التقليدية ذاتها التي تقسم العالم إلى دارين : دار الإسلام ودار الحرب . لهذا فإن حروب الجهاد قد استمرت طويلاً ، وقد خدمت هذه الحروب أغراضاً متعددة غير مجرد نشر الايمان . وبخصوص هذه المسألة فقد كان العثمانيون متسامحين إلى حدود بعيدة لجهة احتفاظ رعاياهم بدياناتهم دون ارغامهم على الدخول في الإسلام[٣] .

ومهما يكن من أمر فإن الدولة كانت على الدوام دولة محاربة ، ومن هنا الدور الكبير الذي لعبته القوى العسكرية في الفتوحات وكذلك داخل البلاد . وفي القسطنطينية نفسها أصبح لزعماء الانكشارية نفوذاً متزايداً ، تضخم حتى صار بمقدور هؤلاء الزعماء تنصيب السلاطين أو خلعهم .

وفي عهد سليمان القانوني (١٤٩٥ – ١٥٦٦) الذي بلغت الدولة أقصى قوتها إبانه . قامت بين العثمانيين وبعض دول أوروبا علاقات قوية . وقد احتفظ العثمانيون خلال

---

٢ – لعل أفضل الكتب التي تتحدث عن وضع الإدارة والدولة العثمانية هو كتاب حبّ وبوون المجتمع الإسلامي والغرب

GIBB and BOWEN islamic society and the west 2 vol

٣ – بروكلمان تاريخ الشعوب الإسلامية ، الترجمة العربية دار العلم للملايين – بيروت

ما يزيد على قرنين من الزمن بعلاقات تحالف مع فرنسا، منذ التحالف بين سليمان وفرنسوا الأول (١٤٩٤ - ١٥٤٧) ملك فرنسا. إلا أن هذه العلاقات لم تؤثر في تغيير نظرة كل عالم من عالميّ الإسلام والمسيحية إلى الآخر، وكانت هذه النظرة إن عند العثمانيين أو عند الأوروبيين، لا تخلو من شعور كل عالم منهما بتفوقه على الآخر. وهذا الشعور بالتفوق عند المسلمين العثمانيين كان يعتمد على موقف المؤمن من غير المؤمن، المدعم في العهود الأولى على الأقل بتفوق عسكري كاسح.

لكن الشعور بالتفوق العسكري هذا لم يستطع أن يصمد أمام هزائم عسكرية كان أبرزها هزيمة كارلويتز (١٦٩٩ - ١٧٠٢) التي أظهرت مدى تخلف قوات الانكشارية وعجزها عن رد أعداء الدولة وبشكل خاص الروسيا والنمسا[٤]. ومنذ ذلك الحين، أي مع مطلع القرن الثامن عشر، بدأت فكرة إصلاح أحوال القوى العسكرية العثمانية، الانكشارية، تتغلغل إلى أذهان الطبقة الحاكمة. خصوصاً أن عجز الانكشارية في صد الهجمات الخارجية لم يقلل من نفوذهم المتزايد داخل القسطنطينية، هذا النفوذ الذي أصبح بالنسبة للسلاطين عبئاً ثقيلاً.

---

٤ - راجع بشكل خاص كتاب برنارد لويس
LEWIS, B the emergence of modern Turkey London 1961

والواقع فإن أول محاولة لاستبدال قوات الانكشارية بأخرى غيرها تعود إلى عهد عثمان الثاني (١٦١٨ – ١٦٢٢) الذي حاول خلال فترة قصيرة من توليه العرش أن يدخل إصلاحات على قواه العسكرية، وكانت رغبته هذه يمليها شعوره بضرورة تقليص نفوذهم أكثر من أي شيء آخر، إلا ان ثورتهم أطاحت به عام ١٦٢٢ قبل أن يتم مشروعه الذي لم يتنفذ قبل مرور قرنين من الزمن[٥].

بدايات الإصلاح العثماني:

لكن إدخال إصلاحات حديثة على المؤسسات العسكرية، لم يصبح أمراً واقعاً إلا بعد الهزائم التي أشرنا إليها قبل قليل، خصوصاً ان عدوة العثمانيين الرئيسية، الروسيا، كانت قد أخذت بالأنظمة الأوروبية وأدخلتها على المؤسسات في عهد القيصر بطرس الأكبر (١٦٧٢ – ١٧٢٥) الذي كان مؤمناً بشكل قطعي بضرورة تحديث وأوربة الروسيا[٦]. ولم تكن تجربته بدون تأثير على العثمانيين الذين لم يكونوا آنذاك بمعزل عن إدراك ما يدور حولهم.

وتحت تأثير هزيمة كارلويتز وتجربة الإصلاح الروسية،

---

٥ – راجع GIBB, Bowen islamic society and the west

٦ – راجع Lewis, B the emergence

بعد السلطان أحمد الثالث إلى العرش عام ١٧٠٣ ، مبدياً رغبته وميله لتحقيق السلام وكرهه للحرب . إلا أن رغبته في السلام لم تتحقق إلا بعد سنوات حين عقدت معاهدة بساروفيتز (Passarovitz) في ٢١ تموز – يوليو ١٧١٨ . وكان بطل هذه المعاهدة الوزير ابراهيم باشا الذي ، مثل سلطانه ، كان ميالاً إلى السلام مشجعاً للفنون والآداب ، فبقي في منصبه حتى ١٧٣٠ ، وخلال هذه الفترة شهدت القسطنطينية عهداً من ازدهار الفنون والآداب وتكاثر الشعراء ، يسمى بعصر التوليب[٧] .

بعد تحقيق السلام بوقت قصير التفت الوزير ابراهيم باشا ، بتشجيع من السلطان ، إلى اقامة إصلاحات . وكان أول ما فعله إرسال السفير محمد أفندي إلى باريس عام ١٧٢٠ لاستطلاع أحوال البلاد الأوروبية ، فرنسا بشكل خاص ، طالباً إلى سفيره ان يعد عند عودته تقريراً يضمنه مشاهداته عن تلك البلاد لينظر في امكانية اقامة إصلاحات ومؤسسات مشابهة في البلاد العثمانية .

والواقع فإن محمد أفندي قد أعد التقرير المطلوب ورفعه إلى الوزير . ويمكننا أن نعتبر هذا التقرير أول محاولة من نوعها في البلاد الإسلامية لوصف مظاهر من مدنية أوروبا الحديثة ،

٧ – راجع Encyclopedie de l'islam, AHMED III

فقد كان السفير معجباً بما شاهده، إلا ان اعجابه لا يخلو من حسّ النقد في بعض الأحيان. والتقرير يتضمن وصفاً لأحوال المدن وطرق بنائها وهندستها وفن العمارة فيها. كما يتضمن وصفاً مسهباً للعاصمة باريس وضخامتها وانهارها والجسور والمباني الفخمة. ويذكر السفير في تقريره أحوال الجيش والاعتناء به وشدة تنظيمه وقوته. ويذكر أيضاً زياراته للمصانع وللمرصد الجوي وغيرها من الأمور. ولا ينسى أن يذكر تفاصيل عن الحياة في فرنسا وحرية المرأة وتصرفات الرجال تجاه النساء. وكان التقرير كافياً لاعطاء فكرة عن حياة الأوروبيين وتقدمهم. ويضمّن السفير تقريره رأياً بقوله: ان الفرنج يختلفون عن الأتراك كما يختلف الليل عن النهار. وفي مكان آخر من التقرير يتحدث عن حدائق (مارلي) المدهشة ويعتقد بأنها جنة، إلا انه يتابع قوله: وفهمت الآن معنى المشهد الجميل في القرآن، ان العالم هو سجن المؤمنين وجنة الكافرين[٨].

لا شك بأهمية هذا التقرير، فهو الأول من نوعه اطلاقاً، إذ انه يتضمن معلومات تفصيلية عن أهم ما يميز التقدم الأوروبي: الصناعة – العلوم – التنظيم والقوة وفن

٨ – راجع Toderını, G de la lıtterature des turcs
في هذا الكتاب يسجل مؤلفه اجزاء كبرى من تقرير السفير محمد أفندي على شكل نقاط مرقمة تتضمن ملاحظات السفير الرئيسية حول رحلته

البناء ، الخ . كما انه يتضمن الموقف من بناة هذا التقدم الذين ليسوا إلا كافرين . إلا ان هذا التقرير لم يكن بدون تأثير ، فقد لفت انتباه الطبقة الحاكمة إلى ضرورة إقامة إصلاحات في مجالات متعددة ، كما ان السلطان المعجب بوصف سفيره للقصور وفن البناء ، دعا حاشيته إلى بناء قصور على غرار فرساي ومارلي .

لكن الشخصية التي ستلعب دوراً كبيراً ومميزاً في مجال الاصلاح إبان الحقبة ذاتها هي شخصية إبراهيم أفندي متفرقة الهنغاري الأصل (١٦٧؟ – ١٧٤٥) الذي وفد إلى القسطنطينية في العشرين من العمر تقريباً حيث دخل في الإسلام وألف «الرسالة الإسلامية» ثم دخل في خدمة الحكومة حيث أسندت إليه مهمات ديبلوماسية متعددة ، بما في ذلك المفاوضات مع النمسا والروسيا . وقد تصاعد دور ابراهيم متفرقة بعد صلح «باساروفيتز» حيث كان أبرز الداعين إلى استخدام الطرق الأوروبية في الفن العسكري . ويبدو انه هو الذي قدم المعلومات الأولى إلى السلطان أحمد الثالث حول إمكانية تطوير وإصلاح الجيش من خلال الاستفادة من خبرات ضباط أوروبيين[٩] .

---

٩ – حول حياة ابراهيم متفرقة راجع مادة «ابراهيم متفرقة» التي كتبها نياري بركس في الموسوعة الإسلامية الطبعة الجديدة

أما إسهامه الرئيسي فسيكون في تأسيس وإدارة أول مطبعة من نوعها في العالم الإسلامي. فقد نشر إبراهيم متفرقة رسالة بعنوان «وسيلة الطباعة» شرح فيها ضرورة استخدام هذا الفن في بلاد المسلمين. ويبدو ان الفكرة ذاتها قد تولدت بعد زيارة السفير محمد أفندي إلى باريس. والمهم في الأمر أن الوزير الأول وعدداً من رجال الدولة المقتنعين بالدعوة إلى الاصلاح قد ساندوا ابراهيم فاستحصل على إذن من شيخ الاسلام الذي وافق موافقة مشروطة على فتح المطبعة، التي بدأت عملها وانتاجها عام ١٧٢٧[١٠]

كانت هذه المطبعة من ثمرات عهد أحمد الثالث، وان كان نتاجها الأغلب سيظهر في عهد خليفته. فقد أطاح زعماء الانكشارية بحكومة إبراهيم باشا وأجبروا السلطان على قتله، ثم أجبروا السلطان نفسه على التنازل. ولعل خشية الانكشارية من تفشي روح الإصلاح وإجراء إصلاحات عسكرية قد أقلقتها خوفاً على نفوذها؛ عدا عن ذلك فإن «ثورة» الانكشارية قد رافقتها شبه انتفاضة شعبية ناقمة على تلك

١٠ - بركس المرجع السابق راجع أيضاً (A Adıvar) حول الطباعة عند الأتراك الذي يتحدث عن مطابع انشئت في القرن ١٦ كانت تطبع بالعبرية واليونانية

المسحة من الحياة الأوروبية التي طبعت حياة السلطان وسلوك حاشيته[11].

وبالرغم من كل شيء، يمكننا أن نعتبر عهد أحمد الثالث، عصر التوليب، أنه قد شهد بحق أول نهضة أدبية في الحياة العثمانية، فقد تشكلت في القصر نفسه مجموعة من الشعراء والعلماء والفلكيين رعاها السلطان ووزيره. كذلك يمكننا ان نعتبر عهد أحمد الثالث (١٧٠٣ – ١٧٣٠)، هو أول عهد يشهد اصلاحاً تحت تأثير التقدم الأوروبي، في محاولة لاكتساب وتمثل منجزات هذا التقدم.

متابعة محاولات الإصلاح:

بالرغم من النهاية المأساوية لعهد أحمد الثالث، فإن محاولات الإصلاح لم تتوقف، كذلك فإن مطبعة متفرقة قد تابعت عملها ولم تتأثر بتغير السلطة وحلول سلطان جديد، فاستمرت في انتاجها حتى وفاة مؤسسها ومديرها عام ١٧٤٥. وبلغ مجموع ما طبعته المطبعة «١٦» مؤلفاً في عشرين مجلداً[12]. وهذه المؤلفات موزعة على موضوعات شتى: التاريخ والعلوم البحرية والجغرافية بالإضافة إلى السيَر والقواميس بين اللغات

---

١١ – راجع بشكل خاص حت وبوون المرجع المذكور سابقاً

١٢ – راجع تودريبي · المرجع السابق الذي يذكر في كتابه جميع المؤلفات مع نبذة عن كل واحدة منها

العربية والتركية والفرنسية والفارسية. ومن بين هذه المؤلفات كتاب له أهميته الخاصة، كتبه ابراهيم متفرقة نفسه عام ١٧٣١ وأهداه إلى السلطان الجديد محمود الأول، والكتاب بعنوان: «أصول الحكم في نظام الأمم» قسمه المؤلف إلى ثلاثة أقسام، يتحدث في أولها عن الحاجة إلى الحكومة القوية والحاجة الملحة إلى القضاة في الدول المؤسسة على القانون الطبيعي. والحاجة إلى القوة المسلحة لسلامة وحفظ الدول. وفي القسم الثاني يتكلم عن ضرورة معرفة العلم الجغرافي ويعطيه أهمية قصوى لخوض المعارك وكسبها ويتحدث عن ضرورة إعداد الخرائط والأطالس. أما في القسم الثالث فيتحدث عن النظام العسكري المعتمد في جيوش (الأمراء) الأوروبيين – المسيحيين، وعن قواعد الحرب الجديدة المختلفة والمتعارضة مع القواعد القديمة. ويضمن المؤلف فصول كتابه أفكاراً متعددة حول ضرورة الأخذ بقواعد الفن العسكري الحديث المعروف في أوروبا، كما أنه ينتقد القوات العثمانية ويظهر أسباب عجزها مبيناً كيفية إصلاحها. ومن أهم أفكار الكتاب إشارة المؤلف إلى ان جميع النظم الأوروبية مبنية على العقل وليس على الشريعة المقدسة. ولا شك بأن كتاب «أصول الحكم في نظام الأمم» هو أول محاولة نظرية لتبرير فكرة الاستعانة بعلوم أوروبا ظهرت في العالم الإسلامي[١٣]

١٣ – ترجم الكتاب إلى الفرنسية عام ١٧٦٩ تحت عنوان
Traité de la tactique

الاستعانة بأوروبيين :

في عهد محمود الأول (١٧٣٠ – ١٧٥٤) تتابعت محاولات الإصلاح ؛ وقد كان هذا السلطان مقتنعاً ، مثل سلفه ، بضرورة الإصلاح . لكن التطور الذي حدث إبان عهده هو الاستعانة بأوروبيين ، فاستعين بضابط فرنسي هو الكونت دو بونفال (Comte de Bonneval) بالاضافة إلى ضباط فرنسيين وأوروبيين آخرين لإدخال تطويرات على سلاح المدفعية العثماني . وأسس بونفال ، الذي اتخذ اسم أحمد باشا بعد ان دخل في الإسلام ، مدرسة للهندسة عام ١٧٣٤ . كما ان جزءاً من عمله سيكون إلقاء دروس ومحاضرات على رجال الدولة في مجال الفن العسكري وفوائد التنظيم و «التكنيك» في المعارك بالاضافة إلى دروس في السياسة والديبلوماسية . ولا شك بأن عمل بونفال قد وسّع دائرة المؤمنين بضرورة استلهام الطرق الأوروبية في التنظيم[١٤] .

أصبحت مسألة التحديث أمراً معترفاً به ، فتتابع نموها أيضاً في عهد السلطان مصطفى الثالث (١٧٥٧ – ١٧٧٣) الطموح والنبيه والمؤمن بعلم الفلك وأهميته في الانتصارات العسكرية ، والمؤمن كذلك بضرورة قيام جيش قوي ومنظم .

---

١٤ – راجع KARAL E Z la transformation de la turquie d'un empire oriental en un état moderne

فاستخدم البارون دو توت (De Tott)[١٥] وهو ضابط فرنسي أرسلته الحكومة الفرنسية لاجراء تحقيق حول القوة العسكرية العثمانية ، فمكث في القسطنطينية وقتاً طويلاً ، وأسهم في إحداث العديد من المؤسسات . فقد عمل (دو توت) على إعداد جسم جديد من المدفعيين وأسس مصنعاً للأسلحة وبنى العديد من الثكنات وأسس مدرسة للبحرية .

لكن هذه الإصلاحات توقفت خلال الحرب مع الروسيا ١٧٦٨ – ١٧٧٤ وبعد سنوات عديدة استعادت حركة الإصلاحات نشاطها من جديد ، ولكن تحت إلحاح فرنسي ، بعد أن رأت فرنسا ان الطموح الروسي يهدد مصالحها ، لذا أوفـدت السفير غـوفيـه (Choiseul-Gouffier)[١٦] عام ١٧٨٤ الذي كان من مهماته المساهمة في إصلاح المؤسسات العسكرية والادارية ، فدعا إلى ضرورة إستخدام والأخذ بالوسائل العلمية الحديثة . ولم يكن السلطان عبد الحميد الأول بمعارض لمبادئ الاصلاح ، فتأسست مدرسة للهندسة وتم إعادة تنظيم قوات المدفعية وحصلت حركة ترجمة لبعض الكتب المعنية بالفن العسكري إلى اللغة التركية

---

١٥ – للبارون دو توت مذكرات منشورة بالفرنسية يتحدث فيها عن كل تجربته في تركيا . وتعتبر مرجعاً رئيسياً حول تركيا في تلك الحقبة

١٦ – راجع كتاب بينعو حول تجربة هذا السفير
Pingoud, L choiseul gouffier Paris 1887

من اللغة الفرنسية ، خصوصاً ان مطبعة القسطنطينية المقفلة منذ (١٧٤٥) قد أعيد فتحها[١٧] .

سليم الثالث :

قبل ان يصل إلى العرش ، كان السلطان سليم الثالث ابن السلطان مصطفى الثالث وابن أخ السلطان عبد الحميد الأول المولود عام ١٧٦١ قد أرسل رسائل إلى لويس السادس عشر يعبر فيها عن رغبته في إقامة علاقات ودية وتحالف ثابت مع فرنسا . كما انه أرسل أحد أعوانه أسحق باشا إلى باريس للتشاور حول مستقبل العلاقات الفرنسية – العثمانية . وقد كان سليم الثالث الذي وصل إلى سدة السلطنة عام ١٧٨٩ معجباً بالحضارة الفرنسية منذ صباه ، وبما ان عصر سلفه عبد الحميد الأول ، الذي نشأ فيه ، قد شهد بحق إصلاحات طمحت إلى تغيير أوضاع المؤسسات عامة وتقدم حالة العلم ، فإن السلطان سليماً الثالث في صباه وشبابه قد أطلع على تجارب الاصلاح التي صار لها تاريخ يعود إلى أوائل القرن الثامن عشر ، فاقتنع وآمن بضرورة إحداث تغييرات تنقل

١٧ – قد يكون كتاب نياري بركس . المؤرخ التركي . المعنون نشأة العلمانية في تركيا هو من أفضل الكتب حول معرفة بداية المؤثرات الأوروبية على العثمانيين

Berks, N the development of secularism in Turkey Montreal 1964

الدولة العثمانية من حالة الضعف إلى مرتبة الدولة القوية العصرية[١٨].

لكن سليماً لم يستطع في بداية صعوده إلى السلطة ان ينفذ شيئاً من مطامحه، فعدا عن كون صعوده قد ترافق مع بداية الثورة الفرنسية، فقد كان عليه أن يتابع الحرب ضد الروسيا والنمسا في نفس الوقت، وأن يخوض معارك تكبدت خلالها الدولة العثمانية خسائر كبرى في المولداني وتوكساني، وتتابعت الهزائم خلال السنوات الثلاث الأولى من عهده حتى عقدت معاهدة جاسي (Jassy) في ٩ كانون الثاني – يناير ١٧٩٢ التي أنهت الحرب، التي رغب السلطان بنهايتها.

وقد كان سليم الثالث راغباً في السلام فعلاً. وبعد ان هدأت المعارك مباشرة التفت لمشاريعه الاصلاحية وتفرغ لها فقد كان يراها ملحة لاستعادة قوة السلطنة وتحديثها. وكان أول ما فعله توجيه الدعوة لعدد من الشخصيات البارزة المؤيدة للاصلاح والتحديث، وتشكيله لمجلس ليضع خطط وبرامج الاصلاح، وقد ضم هذا المجلس عدداً من الشخصيات المتنورة والعلماء بينهم أوروبي واحد على الأقل.

---

١٨ – ثمة دراسة مطولة حديثة حول فترة عهد سليم الثالث تقدم أشد المعلومات تفصيلاً حول تجربته الاصلاحية

SHAW, S Between old and new The ottoman empire under Selim III 1789-1807 Harverd 1971

وقد توسع مجلس الأعوان هذا بحيث ضم حول الأربعين من الأعضاء. وكانت المقترحات ترفع إلى السلطان مباشرة[19]

والواقع فإن السلطان قد طلب إلى أحد أعوانه من دعاة الإصلاح «ابي بكر راتب أفندي» بزيارة فيينا وعواصم أوروبية أخرى (١٧٩٣) للاطلاع على المؤسسات الحديثة وإعداد تقرير حول الاصلاحات الممكنة التي يمكن ادخالها على المؤسسات العثمانية أو إحداث مؤسسات جديدة في القسطنطينية. والواقع فإن راتب أفندي، الفولتيري التفكير، قد أعد تقريراً من خمسمئة صفحة بعد اقامة شهرين في عواصم أوروبا. ويقسم هذا التقرير الطويل إلى قسمين، يتحدث الأول عن التنظيمات العسكرية في الدول الأوروبية والنمسا خصوصاً، ويتحدث الثاني عن شكل الادارة والحكومة. ويتضمن التقرير أفكاراً متعددة لعلماء وفلاسفة أوروبيين حول مسألة الحكم والدولة. وحسب راتب أفندي فإن الدولة الحديثة تتميز بما يلي: جيش قوي ومنظم، مالية مستقرة، استخدام رجال دولة مخلصين ومتعلمين، ضمان أمن الشعب ورفاهيته. والواقع فإن السلطان قد عمل إلى حد بعيد بمقتضى أفكار راتب أفدي وعمل على تنفيذ بنود تقريره[20]

---

١٩ – (Karal) المرجع المذكور سابقاً
٢٠ – (Karal) المرجع المذكور سابقاً

وأول شيء عمد إليه سليم الثالث هو تكوين جيش جديد مكون من اثني عشر ألف رجل ليكون بديلاً عن قوات الانكشارية المخفقة والتي أبدت عجزاً متكرراً في معاركها السابقة. وقد أسس الجيش الجديد وفق النظم الأوروبية وأسهم في إعداده العديد من الضباط الأوروبيين، الفرنسيين خاصة. وفي نفس الوقت عمل السلطان على اعادة تنظيم مدرسة البحرية التي أسسها البارون دو توت، وأسس كذلك مدرسة جديدة للمدفعية. والأمر اللافت للانتباه هو القبول باستخدام اللغة الفرنسية كلغة مساعدة في التعليم. وبالنسبة لبرامج التعليم فقد كانت حديثة إلى أقصى الحدود، ففي مدرسة الهندسة مثلاً، كان الطالب يتلقى خلال أربع سنوات من الدراسة معلومات في الرياضيات والجغرافيا والجبر والهندسة وحساب المثلثات بالإضافة إلى اللغات العربية والفرنسية وغير ذلك من المواد[٢١]. وقد حصلت حركة ترجمة واسعة للكتب العلمية والكتب العسكرية. كذلك فإن عدداً كبيراً من الثكنات العسكرية قد جرى بناؤها لاستيعاب الأعداد المتزايدة من الجنود الذين دربوا وفق النظام الجديد.

وقد أقام السلطان سلسلة من التشريعات الجديدة سميت

---

٢١ - بركس المرجع السابق (the development of secularism) ويقدم المؤلف في هذا الكتاب معلومات تفصيلية حول برامج التعليم ومواده خلال السنوات الأربع في مدرسة الرياضيات

بمجموعها «قانون نامه» أو «نظامات». أما مجموع إصلاحات السلطان فقد عرفت باسم «نظامي جديد»، هذه العبارة نفسها التي تستخدم للإشارة إلى القوات الجديدة التي أحدثها سليم الثالث. وبموجب هذا النظام تم إحداث صندوق مالي لتغطية نفقات المؤسسات الجديدة سمي بـ (إيراد جديد) يقوم على فرض ضرائب على ملاكين لم يقوموا بواجباتهم العسكرية[٢٢].

وخلال الفترة الممتدة بين ١٧٩٢ و ١٧٩٨، أمكن القيام بالعديد من الإصلاحات المشار إليها، فبالإضافة إلى الإصلاح المالي الذي ضمن تغطية نفقات هذه المؤسسات فقد أنشئت ثكنات متعددة في سكوتاري (Scutari) حيث نمت مدينة جديدة ارتفعت فيها المساجد وبنيت فيها الحمامات وأسست فيها مطبعة جديدة، مما يشير إلى تدعم مواقع الإصلاح في بقعة بعيدة عن المواقع التقليدية والمعارضة.

ولتوسيع دائرة مؤيدي مشروع الإصلاح، اعتمد السلطان سفراء دائمين في عواصم أوروبا كانت مهمتهم الأولى تعلم اللغات الأوروبية والاستفادة من العلوم الحديثة. ويمكن اعتبارهم طلاّباً موفدين لاستيعاب التقدم الاوروبي وتأكيد فكرة الاصلاح.[(٢٣)]

---

٢٢ - (Shaw) المرجع السابق

٢٣ - (Shaw) المرجع السابق

تمت هذه الاصلاحات خلال فترات متقطعة وبقوة إرادة السلطان الاصلاحية وطموح أعوانه المستنيرين. إلا ان الظروف الدولية وكذلك الأوضاع في الداخل لم تكن لتسمح باستمرار هذه التجربة الاصلاحية. فمن ناحية كانت الهجمات الروسية والنمساوية والانكليزية تتكرر على القسطنطينية، كما ان السلطان كان يعلن الحرب على الحليف التقليدي القديم: فرنسا، بعد حملة بونابرت في مصر ١٧٩٨. ولم يتجدد الحلف مع فرنسا إلا بعد إعتماد «سباستيان» كسفير لباريس في القسطنطينية ١٨٠٥، هذا السفير الذي لعب دوراً بارزاً في تنظيم المقاومة ضد الأسطول الانكليزي الذي حاصر القسطنطينية.

ولم تثن هذه التطورات السلطان عن عزمه في متابعة خططه، فأعلن في ١٨٠٥ «خط شريف» يتضمن الدعوة إلى التعبئة العامة، مما أثار نقمة زعماء الانكشارية وعصيانهم: فاضطر السلطان إلى التراجع حتى عزله عن الحكم عام ١٨٠٧. ولم تنته الأمور عند هذا الحد، فقد أحدثت الانكشارية مجزرة أودت بأبرز المصلحين المستنيرين. أما السلطان، فخلال محاولة لإعادته إلى العرش بعد سنة من عزله، قتل خنقاً في قصره[٢٤].

---

٢٤ - (Shaw) المرجع السابق

أما محاولات الاصلاح فإنها لم تتوقف، فبعد تراجع قصير، استطاع السلطان محمود الثاني ان يقضي على الانكشارية نهائياً عام ١٨٢٦ بعد قرنين من الزمن من أول محاولة للقضاء عليهم.

[] [] []

المؤثرات الفكرية:

على امتداد القرن الثامن عشر الذي شهد محاولات متكررة لإصلاح الإدارة والمؤسسات والتعليم، شهدت القسطنطينية تسرب الأفكار الحديثة، الفرنسية بشكل خاص. وإذا اعتبرنا كتاب إبراهيم متفرقة: «أصول الحكم في نظام الأمم» هو أول محاولة لتبرير الاستفادة من تقدم أوروبا العلمي، فإن السنوات التي تلت صدور هذا الكتاب ستشهد مزيداً من التأثير الفكري الفرنسي فتمت ترجمة بعض رسائل فولتير إلى التركية، وكان لفولتير تأثير خاص على مستنيري القسطنطينية. وقد أسهمت مطبعة السفارة الفرنسية في القسطنطينية بطبع مجموعة الكتب باللغة الفرنسية التي صار لها قراء في السبعينات والثمانينات من القرن «١٨» بين الأتراك. كذلك فإن مكتبات القسطنطينية المتعددة صارت تضم عدداً

كبيراً من المؤلفات بلغات أوروبية. ومكتبة مدرسة الرياضيات كانت تضم جناحاً خاصاً وواسعاً بالكتب الأوروبية[٢٥]

إلا ان التأثير الفكري الفرنسي، والأوروبي بشكل عام، سيظهر بوضوح إبان عهد سليم الثالث. وسيصبح لأفكار التنوير دعاة بارزون وصريحون. وليس أدل على ذلك مثل إقامة مطبعة باللغة الفرنسية في المدينة الجديدة سكوتاري (Scutarı) التي توسعت إبان «حقبة النظامي الجديد». كذلك فإن برامج التعليم في مدارس الرياضيات والبحرية والهندسة كانت تقوم على أساس برامج التعليم الفرنسية[٢٦]. ويمكننا أن نشير أيضاً إلى بضعة وأربعمئة كتاب بلغات أجنبية أوروبية، فرنسية خصوصاً، كانت تضمها مدرسة الرياضيات بينها الأنسكلوبيديا (L'encyclopedie) ومؤلفات لفولتير وروسو.

وبالنسبة لعهد سليم الثالث يمكننا ان نتحدث عن ثلاثة رجال كان لهم الدور في نشر الفكر الإصلاحي وفتح باب المؤثرات الفكرية الفرنسية.

---

٢٥ - (Toderını) المرجع السابق يقدم هذا المؤلف في كتابه معلومات وافية حول جميع مكتبات القسطنطينية وما تحتويه من كتب ويمكننا اعتبار كتابه أحد أهم المراجع حول الحياة الثقافية في القرن الثامن عشر في تركيا

٢٦ - راجع بشكل خاص الدراسة الهامة التي نشرها عام ١٩٥٣ برنارد لويس
B Lewıs the ımpact of french revolutıon on Turkey

الأول هو راتب أفندي الذي سيصير فيما بعد « رئيساً للكتاب » وهو الذي أوفده السلطان في مهمة إلى فيينا وغيرها من العواصم الأوروبية، قدم بعدها تقريره الطويل (٥٠٠ صفحة) الذي يتضمن برنامجاً للاصلاح يقوم على استلهام الأنظمة الحديثة المعروفة في أوروبا[٢٧]. وهذا التقرير غير المنشور يشكل أول الآثار الفكرية في عهد سليم الثالث ويعود إلى بداية تنفيذ الإصلاحات (١٧٩٣).

والثاني هو محمود رئيف المعروف (بمحمود الانكليزي) بعد ان احتل منصباً ديبلوماسياً في لندن. ترك عدة كتابات منها رسالة في الجغرافيا ووصف لرحلته وإقامته في لندن، وأهم كتبه المنشورة بالفرنسية والتركية معاً هو كتاب : جدول التنظيمات الجديدة في الامبراطورية العثمانية. يصف فيه الترتيبات والاصلاحات الجديدة التي أقيمت في عهد سليم الثالث[٢٨] وقد صدر الكتاب لأول مرة عام ١٧٩٧.

والثالث هو المهندس سيد مصطفى الذي ترك أثراً وحيداً، ننشره هنا. وسنحاول ان نلقي بعض الأضواء عليه.

---

٢٧ - (Karal) المرجع السابق

٢٨ - راجع (Berks) المرجع المذكور سابقاً

حياة سيد مصطفى :

لا نعرف الشيء الكثير عن حياة المهندس سيد مصطفى سوى المعلومات التي يقدمها عن نفسه في مقدمة كتابه، ونعرف من خلالها انه من مواليد وسكان القسطنطينية، ولا يحدثنا الكثير عن طفولته وصباه، سوى انه يذكر ميله إلى العلوم في وقت مبكر. ويذكر انه تلقى بعض العلم في صباه على أيدي أساتذة أتراك يسمي بعضهم. أما بشأن موقعه فقد كان أحد دعاة الإصلاح ومناصريه. وقد احتل منصب أستاذ، مدرس، في مدرسة الرياضيات.

ولم يكن سيد مصطفى وحيداً في ذلك، بل هو واحد من عدة احتلوا مناصب في المدارس الحديثة التي افتتحت في القسطنطينية وغيرها من المدن زمن سليم الثالث، أما شهرته النسبية فتعود إلى كونه خلف هذا الكتاب الصغير، والذي نعتبره بالرغم من صغر حجمه، أحد الآثار القليلة «الفكرية» التي خلفتها تلك الحقبة في الدفاع عن الإصلاح والانفتاح على أوروبا. ونحن لا نشير هنا إلى الآثار الأدبية البحتة من شعر ونثر وغيرها.

وثمة أمر آخر يمكننا ان نضيفه إلى المعلومات القليلة التي نملكها عن حياته وهو انه، مثل عديدين ومثل محمود رئيف (الانكليزي) كان ضحية أفكاره ودفاعه عن الإصلاحات،

بل انخراطه في المشاريع الإصلاحية نفسها، فقد قتل إبان «الثورة» الانكشارية عام ١٨٠٧.

ملاحظات عامة حول الكتاب:

صدر الكتاب عام ١٨٠٣ وطبع في مطبعة سكوتاري التي أنشئت حديثاً في نفس المدينة التي نمت في عهد سليم الثالث نتيجة لبناء الثكنات والمدارس العلمية فيها، بالإضافة إلى المساجد والحمامات العامة. وكانت المطبعة تشتمل على أحرف تركية وفرنسية أيضاً. أما كتاب «نقد الحالة الراهنة...» فقد كتبه المؤلف بالفرنسية ونشره بالفرنسية ولا يُذكر بأن ثمة ترجمة أخرى للكتاب بلغة أخرى، بما في ذلك التركية نفسها.

وقد نشر الكتاب في باريس عام ١٨٠٩، أي بعد وفاة المؤلف بسنتين، وربما كانت وفاته على النحو الذي تمت فيه، والإطاحة بعرش السلطان سليم الثالث من الدوافع وراء نشر الكتاب مرة أخرى في باريس، حسب ما تذكر المقدمة التي كتبها ناشر الكتاب الفرنسي: «لويس لونغليه» المتخصص بشؤون الترك والتتار.

ويبلغ عدد صفحات الكتاب في نسخته الثانية (باريس ١٨٠٩) ٤٩ صفحة بما في ذلك مقدمة الناشر الذي أضاف إلى النص هوامش توضيحية ملحقة

بالصفحات. أما عدد صفحات الكتاب حسب الطبعة الأولى فتبلغ (٣٣) صفحة فقط.

وعدا عن مقدمة المؤلف نفسه والتي يبدأ بها كتابه وتحتل حجماً لابأس به بالنسبة لحجم الكتاب ككل والتي يتكلم فيها عن حياته وتجربته ويشرح فيها أيضاً أسباب الكتابة والتأليف، فإن الكتاب لا يحتوي على فصول ومقاطع، كما انه لا يشتمل على عناوين فرعية، بل هو أشبه برسالة طويلة.

اللغة الفرنسية:

إن إصرار المؤلف على الكتابة باللغة الفرنسية يعود إلى أسباب متعددة يذكر بعضها في سياق الكتاب. وبالرغم من هذا الإصرار، يمكننا أن نذكر بأن المؤلف الذي يطلب ان يتغاضى القراء عن هفواته واخطائه اللغوية، لم يستطع أن يتقن هده اللغة إتقاناً كاملاً، فثمة أخطاء في التراكيب اللغوية المستعملة، بالإضافة إلى استخدام تعابير في غير موضعها، أو تعابير غير دقيقة. كما ان النص يحتوي على فقرات تكاد تكون غير مفهومة، أو هي غير مفهومة فعلاً، إذا لم نعرف قصد المؤلف من ورائها.

بالرغم من ذلك يبدو جهد المؤلف سيد مصطفى كبيراً جداً لجهة كتابة هذا النص القصير بلغة غير لغته، تعلمها في

كبره ، وفي ظروف مبكرة إلى هذا الحد. ومع ان المؤلف لم يكن وحيداً في معرفته للغة الفرنسية ، بل والكتابة بها أيضاً ، فلا شك بانه كان من بين عدد قليل ، حتى ذلك الوقت ، من المثقفين والمتنورين في القسطنطينية الذين أمكنهم ، بدأبهم وصبرهم وإلحاحهم ، ان يصلوا إلى إتقان نسبي لهذه اللغة العالمية ، كما يصفها سيد مصطفى نفسه.

وهذا الدأب مرده ، حسب تفسير المؤلف، إلى اعتقاده بأن هذه اللغة هي الوحيدة، العالمية، القادرة على أن تصل به وبغيره إلى معرفة وتعلم العلوم الحديثة، ويذكر المؤلف: اخضعت نفسي لدراسة اللغة الفرنسية ، كأشد اللغات عالمية ، وقادرة على أن تقربني من معرفة الآخرين الذين كتبوا حول هذه الفنون الرائعة.

كما انه يذكر في مجال آخر اعتذاراً يتضمن تفسيراً ؛ فهو حين يعتذر عن الأخطاء اللغوية والانشائية التي قد يكون قد وقع فيها ، يفسر سبب كتابته بالفرنسية محدداً قراءه. فهو يريد أن يعرف الفرنسيين خصوصاً والأوروبيين عموماً بحالة العلوم وتقدمها في القسطنطينية ، ويطلعهم أيضاً على التجربة الإصلاحية في عهد سليم الثالث. وليست مهمته هنا مجرد مهمة اخبارية ، بل تعني الدعوة إلى مزيد من المساعدة على تحقيق الإصلاحات التي بدأها السلطان.

لكننا نرى أبعد من ذلك أسباباً دعت إلى الكتابة باللغة الفرنسية، وساهمت بإجلائها الكتابة بالفرنسية.

فمن ناحية أولى تلبي الكتابة بهذه اللغة طموح الدخول في الكونية والعالمية، لا تؤمنه الكتابة باللغة التركية. عامل نفسي يختص بالطبقة أو الفئة المثقفة المحدودة العدد آنذاك في القسطنطينية. لكن لها مبرراتها الأكيدة، لخصوصية وضع الثقافة في عاصمة العثمانيين قبل بدايات القرن التاسع عشر. فالمثقف التركي، المتنور، كان يكتب ويعبر عن أفكاره قبل الاحتكاك بأوروبا بلغتين رئيسيتين: العربية والفارسية؛ لكن مع الاحتكاك بأوروبا وإحداث أول مطبعة من نوعها في القسطنطينية عام ١٧٢٧ في عهد أحمد الثالث، بدأ نوع من التأكيد على الهوية التركية وإبتعاد عن لغتين غريبتين عن عامة الشعب. هذا الابتعاد عن استخدام الفارسية والعربية الذي استمر عدة قرون سهل قبول لغة غريبة أخرى هي الفرنسية لها ميزتها المطلقة على لغات الإسلام الثلاث المذكورة، وهي ميزة التقدم، وتعبيرها عن العلوم الحديثة وربطها التركي بالعالمية والتقدم وهذا ما كان سيد مصطفى يريد أن يعبر عنه.

وثمة ناحية ثانية تدفع إلى الكتابة بالفرنسية آنذاك، وهي مسألة المصطلحات الحديثة والأفكار الجديدة. فالمؤلف

الذي يريد ان يدافع عن أفكاره الجديدة والذي يريد أن يضمن بحثه مصطلحات حديثة، عاجزة التركية عن إيجادها والتعبير عنها، يجد الفرنسية ملائمة لذلك.

لكن ينبغي ان لا يذهب بنا الظن إلى حد الاعتقاد بان المؤلف قد تمثل الفكر الفرنسي (الانوار) برمته، بل على العكس من ذلك، فلا نجد عنده تأثراً واضحاً بأفكار الثورة الفرنسية، الحديثة العهد، بل ان مصطلحاته وأفكاره تنصب بشكل خاص حول المسائل العلمية المتعلقة بتقدم الفن العسكري.

ويمكننا ان نذكر سبباً أخيراً كان دافعاً للكتابة بالفرنسية أيضاً، وحسب ما نرى، فإن المؤلف كان يريد ان يضع مؤلفه بمنأى عن اعتراضات الجماعات التقليدية القوية النفوذ، والتي أطاحت بملكه وقتلته فيما بعد، خصوصاً ان بعض أفكاره وعبارات الكتاب يمكنها ان تثير نقمة ضد فكرة الإصلاح برمتها. ولا شك بأنه لو كتب بالتركية لتخلى عن بعض الفقرات واستبدلها بغيرها لكي لا يثير نقمة المعارضة.

مذهب للنقد:

ان فكرة النقد التي ينطوي عليها سبب التأليف والتي يتضمنها العنوان أيضاً هي فكرة جديدة، بدون شك، في

الأدب الاسلامي والتركي، ومحاولة في كتابة نقد لحالة الفن العسكري والهندسة والعلوم لم تكن لتجري لولا التأثير الفكري والذهني للفكر الفرنسي على المؤلف.

والنقد يأتي مقترناً مع التمسك بنزعة موضوعية في معالجة الأمور وتصويرها دون مبالغة أو إطناب. وإن كان حماس المؤلف للاصلاح قد جعله يبالغ في تصوير بعض الأمور. وهو إذ ينتقد الوضع الراهن فإنه يحاول أن يرى أسبابه البعيدة والتاريخية. فحين يريد أن يرى ويفسر أسباب ذلك، يعود إلى التاريخ العثماني البعيد ليفسر انحطاط العسكرية والعلوم المتعلقة بها بسبب الأنظمة المتبعة وبسبب الطبقة الحاكمة التي لم تكن تؤمن بضرورة الانفتاح على الآخرين.

إلا ان أسباب إنحطاط العلوم عند العثمانيين يعود إلى أمور أبعد من ذلك وأكثر عمقاً. فثمة حتمية في انتقال مراكز العلم والإشعاع من مكان إلى مكان، بحيث ان هذه الحتمية أو هذا التطور يعطي المركز الأول للتلميذ بعد ان كان بيد المعلم. وهكذا انتزعت الظروف التاريخية الجدارة من يد المسلمين ووضعتها بيد الأوروبيين. بعد ان كانت الجدارة العلمية بأيدي الفرس والفراعنة واليونان.

إلا ان ما هو أشد خطورة ولفتاً للانتباه وضع سيد مصطفى للمبدأ الإسلامي الذي درجت عليه موضع الشك،

حين يرى بان العلماء والفلاسفة لا يعتقدون بإمكان التطور الفطري عِند الانسان واعتقادهم بان خاصية التعلم عنده هي خاصية ثانوية. وإذ يصرح بموقفه من علماء المسلمين في مطلع كتابه، يعلن خروجه النسبي عن الاعتقاد السائد. ومرة أخرى في سياق الكتابة يتطلع إلى مذهب الجهاد بشكل نقدي تحليلي مظهراً عدم تعلقه الشديد بالشريعة الإسلامية. وهذا ما يمكننا ان نلحظه على امتداد الكتابة.

لكنه يوجه نقداً أقسى وأشد للطبقة الحاكمة وللولاة والوزراء الذين لم يدركوا أهمية الفن العسكري والتكتيك والذين تلهوا بخلافاتهم الشخصية ولم يفكروا بغير مصالحهم الخاصة ومنافعهم الآنية.

والتطور الجديد في هذا الكتاب كون مؤلفه لا ينظر إلى الأوروبيين كأعداء وككفرة. فابراهيم متفرقة في كتابه «أصول الحكم في نظام الأمم» ينظر إلى الأوروبيين المسيحيين ككفرة بالرغم من دعوته إلى استلهام نظامهم العسكري والاداري. أما سيد مصطفى فعلى العكس من ذلك، فإن مدحه وإعجابه المتواصل بعلوم الغرب يدفعه إلى طلب الاعتذار لهذا المسلم الذي يريد أن يكتب بلغة فرنسية، طالباً من قرائه الأوروبيين ان يتفهموا نواياه.

سيرة غربية :

ولشدة إعجابه بأوروبا يستلهم قصة « ديكارت » الحياتية ونشأته العلمية ليتحدث عن طفولته ، وهذا أمر جديد كلية بالنسبة لمسلم يتحدث على هذا النحو المبسط حول شخصية غير مسلمة ويجعلها مثالاً له .

ويبدي رغبته تكراراً بزيارة أوروبا ليتعلم منها ومن علمائها الفنون والعلوم الجميلة التي تيسر له التعرف على آخر ما توصل إليه العلم .

أسلوب لكتابة جديدة :

لا يبدأ المؤلف بالعبارات الإسلامية التقليدية ، التي تميز كل المؤلفات الإسلامية . كذلك فإنه لا يبدأ الكتابة بتوجيه الشكر والحمد إلى سلطان أو زعيم ، بل يباشر للتو موضوعه الذي أراد أن يتكلم عنه . وأكثر من ذلك ، فهو يذكر بأنه لا يريد أن يكيل المديح للسلطان ، بل سيكتفي بذكر اسمه ، موضحاً هنا انه لا يريد ان يتشبه بالمنافقين المداحين الذين يكثرون من الحمد والشكر بدون جدوى . مما يفسر لنا إدراك المؤلف لغايته في مفارقة الأسلوب التقليدي وابتداعه لنمط جديد من الكتابة ليست فيه العبارات الشائعة المتكررة التي تتردد في كل كتاب ورسالة .

ومن ناحية أخرى يمكننا أن نلاحظ أيضاً الأمور التي تخلى عنها الكاتب، بتأثير مطالعته للكتب الفرنسية ومحاولته تقليدها، فهو لا يستشهد بآيات قرآنية أو بأحاديث نبوية. بل يتخلى عن كل ما يميز الكتابة التركية - الإسلامية التقليدية. ولم يكن بإمكانه ذلك فعلاً لو حاول أن يكتب بالتركية أو العربية حيث طريقة الكتابة وأساليبها القديمة كانت ستغلب على المضمون بدون شك.

كذلك فإن المؤلف، كما أشرنا، يتخلى عن تلك العادة التي كانت سائدة في التأليف عند ذكر الأوروبيين، فيشار إليهم ككفرة ومارقين، وعلى العكس من ذلك فإن المؤلف، ينظر إليهم، كلما ذكرهم بإعجاب واحترام، وغالباً ما يصفهم بالمعلمين.

وإذا أردنا ان نقارن أسلوب سيد مصطفى بكتابات أخرى صدرت بعد فترة غير قصيرة، نجده أكثر تقدماً بكثير، خصوصاً إذا أخذنا بشكل خاص النصوص العربية التي تنتمي إلى أواسط القرن ١٩ التي لم تستطع حتى ذلك الوقت أن تدرك الاسلوب المنظم الحديث، وبمعنى آخر أن تستوعب تقدم الأسلوب الغربي، الذي عكس نفسه فيما بعد على اسلوب الكتابة العربية.

ولا بد أن نشير إلى ان الحدة في الاسلوب في هذا

النص ، انما تعود وبشكل أساسي إلى الكتابة بالفرنسية فحسب. وهذا ما يجب ملاحظته باعتناء.

فكرة الكتاب :

يحدد المؤلف في المقدمة هدف الكتاب بأنه محاولة لإعداد جدول حول الفن العسكري سابقاً وتطور هذا الفن بعد «الثورة السعيدة» التي قام بها السلطان سليم ، أي إعلان «النظامي الجديد» وإجراء الاصلاحات.

ولا شك بأن المسألة العسكرية وإصلاح القوى المقاتلة وتطويع قوى نظامية تشكل المسائل الرئيسية في الكتاب. التي تشغل المهندس سيد مصطفى بتشكل رئيسي.

ولفهم الوضع السابق الذي كان عليه الفن العسكري. يعود المؤلف إلى التاريخ ليشرح الوسائل والطرق العسكرية عند العثمانيين الأوائل ، هذه الوسائل التي لم تكن إلا بدائية. لكن ما يشفع لذلك هو أن الأعداء «الأوروبيين» كانوا أشد جهلاً. ولكن الذي حدث فيما بعد هو إيجاد الأوروبيين لوسائل متطورة لم يعرها العثمانيون والطبقة الجاهلة منهم أي اهتمام ، بل على العكس فإن هذه الطبقة كانت تنظر إلى الاصلاحات نظرة ازدراء... حتى جاء سليم الثالث

ومجيء هذا السلطان لم يحل لنا المتاكل بضربة سحرية ، بل على العكس. فإن سيد مصطفى يشرح لنا

بصدق شديد موقف «الناس» والعامة من الهندسة والرياضيات والتدريبات العسكرية، وينقل لنا صورة حيوية عن موقف الناس العاديين. واذا عرفنا بأن المؤلف قد نشر كتابه في زمن السلطان سليم الثالث نفسه، وانه لم يكن مضطراً لذكر هذه التفاصيل، نستطيع أن نتفهم حداثة ذهنه، ومحاولته أن يكسب كتابته أبعاداً «موضوعية»، أو بمعنى أدق تفهم الواقع وشرح سيرورته.

من ناحية أخرى فإن المؤلف هدف إلى إعداد جدول بإصلاحات سليم الثالث، وهو جدول دقيق إلى حد بعيد يحاول فيه أن يذكر تلك الانجازات، وإن كانت الدراسات الحديثة تغنينا عن هذا النص، فإن قيمته التوثيقية لا بد أن تؤخذ بالاعتبار.

وأمر آخر يذكره المؤلف كسبب من أسباب التأليف وهو توجيه الشكر إلى معلميه ومعارفه من الأوروبيين، وهو أمر لا ينفك يردده في صفحات نقده القصير، وهذا ما يجعلنا نعتقد بان المؤلف انما كان يهدف إلى التوجه بكتابه إلى قراء أجانب، بالاضافة إلى الأسباب التي سبق ان ذكرناها.

هذه الأسباب مجتمعة تصنع قيمة هذا الكتاب الصغير الحجم الذي يشكل إلى حد بعيد أول وثيقة من نوعها تقريباً يكتبها مسلم عام ١٨٠٣ وتنتمي بحق إلى تجارب الإصلاح

العثمانية في القرن الثامن عشر وهي تعكس لنا ذلك البقين الذي لا يرقى إليه شك ، هذا اليقين الذي تمسك به بعض أفراد متنورين ويتلخص بضرورة إستيعاب التقدم الأوروبي كطريق وحيدة لاستعادة القوة !

وإذا كانت هذه الفكرة هي مجال أخذ ورد منذ وقت غير قصير، فإنه من غير المنطقي ان نجادل سيد مصطفى في فكرته المبكرة ، لكن اللافت للانتباه هنا هو ذلك الوقت المبكر الذي ظهرت فيه فكرة الاصلاح عند الأتراك العثمانيين، ليس مع المهندس صاحب هذا النقد القصير فحسب ، بل منذ عهد أحمد الثالث وتجارب ابراهيم متفرقة المبكرة ولا شك بان العثمانيين في القسطنطينية قد سبقوا في دلك الشعوب الإسلامية الأخرى ، وبشكل خاص ، الفرس والعرب كذلك فإن الاصلاح العثماني أخذ في الواقع ، على امتداد القرن التاسع عشر، أشكالاً أشد جذرية أدت إلى سلوك تركيا لطريق يختلف عن طرق العرب والفرس وغيرهم من شعوب الإسلام

وإدا كانت هذه الملاحظات تحتاج ، لتعميقها ، لدراسات مستفيضة حول تطور الشعوب الإسلامية في العصر الحديث ، فإن عملنا المتواضع في تقديم هذا النص ، نرجو أن يسهم بشكل ما في إحاطة القراء العرب بتجربة الأتراك في العصور الحديثة.

ان قيمة «نقد» سيد مصطفى تكمن في كونه يستطيع أن يقيم الدليل على رسوخ فكرة الإصلاح عند العثمانيين الأتراك، في وقت لم تكن هذه الفكرة قد بدأت في التبلور عند الشعوب المجاورة لهم.

خالد زيادة

نقد الحالة الراهنة للفن العسكري والهندسة والعلوم في القسطنطينية

المهندس سيد مصطفى

١٨٠٣

مقدمة الناشر الفرنسي

أيها الزميل العزيز ،

المؤلف الذي اقترح عليك إعادة ترجمته في «المستودع»[1] ، قد لا يبدو أهل لهذا الشرف ، بموضوعه أو بندرته . إنه نوع من الظاهرة الأدبية التي تبدو اىها تنبئ ببعث شعب كبير. هذا الأمل الناعم الذي يجد استقبالاً حماسياً من قبل كل أصدقاء الحقيقة والآداب ، كان قد قضي عليه بسرعة بإحدى أفدح الكوارث ، الحديثة العهد التي يكون من المفيد ان نذكر الظروف المؤلمة . كل من قرائنا يجب أن تكون حاضرة في ذاكرته سلسلة الحوادث العنيفة والثورية التي سببت ، ورافقت وتبعت سقوط سلطان أجاد الصنيع[2] ، صديق صادق للانسانية ، للآداب ، للعلوم والفنون ، وعيبه

١ – (Magasin encyclopedique) كتاب دوري كان يصدر في باريس في تلك الحقبة

٢ – توصح لنا العبارة السابقة مدى اهتمام القارئ الفرنسي ومتابعته للأحداث التي كانت تجري في القسطنطينية

الوحيد.يحصر في تفوّق لا يقاس في المعارف والعبقرية بالنظر إلى الشعب الذي يحكمه[٣].

إن فقدان الجزيل الاحترام، صاحب الحظ التعيس سليم الثالث، جرّ إلى فقدان العدد الصغير من زملائه الذين كانوا يسعون إلى تحقيق مشاريعه المفيدة والشريفة بنشرهم لعلوم وفنون أوروبا بين مواطنيهم.

ونستطيع الافتراض بان سيد مصطفى كان في عداد هذه الضحايا المهمة والمحترمة، ولا نريد هنا سوى أن نمسح ذكراه إلا «غرامة» صادقة، وان كانت متأخرة، من الندم والاحترام ولنقل أيضاً من الاعجاب.

إن هذه المشاعر ليست أمراً مبالغاً فيه تجاه أحد عناصر أمة الرسول، تجاه مؤمن صادق، قادر على الإقرار بأن الحقائق المفيدة ليست كلها موجودة في الكتاب المقدس[٤]. أو على الأقل، بان كلام الله يفسح المجال أمام إضافة[٥]،

٣ -- حول شخصية السلطان سليم الثالث يمكن مراجعة كتاب
Shaw, S Between old and new

٤ -- يقصد القرآن الكريم

٥ -- هدا هو رأي الناشر على الأقل بالسنة لتلك الحقبة. ولا نعرف موقف المؤلف سيد مصطفى الفعلي من هده المسألة مع ان كتابه كما سنرى ليست فيه أي اشارة إلى هدا الموصوع كما انه لا يحتوي على أي اثبات لآيات قرآنية أما شأن ما يريد أن يرمي إليه الناشر في إشارته فإن المسلمين لا يقولون بأن القرآن يحتوي على التفاصيل المتعلقة بجميع الأمور. بمقدار ما يحض الدين الإسلامي على العمل إلخ

فيتجرأ على التفتَيش عن هذه الاضافة في كتب الكفرة والملحدين. وبغية معرفة هذه الكتب بشكل جيد، يدرس اللغة التي يأمل أن تساعده على ايجاد العدد الأكبر من المعلومات، التي يمجد فائدتها ويثبتها بحقائق وأمثلة متنوعة.

وسوف نقرأ باهتمام، طبعاً، المقارنة والموازنة التي يقيمها سيد مصطفى بين التكتيك القديم عند العثمانيين وذلك الذي استعاروه من الأوروبيين، والذي لم يستطع العثمانيون فهم تفوقه إطلاقاً[٦]. كذلك سنقرأ الوصف السريع، المثير أيضاً، لمختلف الانشاءات العلمية والحربية المنظمة منذ عهد قريب في القسطنطينية وصكتاري[٧] وفي بضعة مدن أخرى من الامبراطورية العثمانية.

لقد أردنا معرفة بعض التفاصيل المتعلقة بالمطبعة الامبراطورية، وسوف نحاول أن نبوب عن مؤلفنا بهدوء.

ان الفن الطباعي الذي رفض بفظاظة من قبل مجموع

---

٦ – لا بد ان الناشر «لانعليه» يشير بذلك إلى الثورة المضادة التي قام بها الانكشاريون وأحرقوا خلالها معظم الحارات واصلاحات سليم الثالث. ودمروا خلالها المدارس والثكنات

٧ – (Scutari) مدينة حديدة تمت خلال عهد سليم الثالث. تقوم في المقابلة للقسطنطينية وكانت تعرف سابقاً باسم اسكودار

العلماء[8]، قد وجد في سليم التالث حامياً له. ان هذا الملك كان قد فهم وبشكل جيد بان فن الطاعة هو الوسيلة الوحيدة لكي يخرج شعبه من الجهل، ولكي يبعده عن المعتقدات البديهية السخيفة التي لازمها هذا الشعب. ولكي يمنحه أيضاً تذوق العلوم والفنون التي تصنع سعادة المهتمين بها، وتصنع المجد الصلب للملوك الذين يحموها.

وهكذا فإن المطبعة أدخلت إلى القسطنطينية سنة ١٧٢٧ بواسطة ابراهيم، ضابط متفرقة، والمعروف باسم (باصمدجي) (Bassmahdjy) أي مطبعي. تم أهملت عند موته ١٧٤٦ ورممت فيما بعد لعدة أشهر من سنة ١٧٥٧، تم أعيدت إلى العمل بمرسوم (خط شريف) في عهد عبد الحميد سنة ١٧٨٤، ولم تلبث أن استعادت حركتها بالعناية والحماية الخاصة التي أولاها إياها سليم الثالث.

هذا النشاط جعل عناوين الكتب المطبوعة بالعربية والتركية والفارسية تشكل فهرساً لابأس به، أفكر في نفسي وأقترح نشره في المستودع الموسوعي[9].

وهكذا فإن البناء الواسع المخصص للمؤسسة الطباعية

---

٨ – لم يرفض الفن الطباعي فعلاً من قبل العلماء بل وافقوا على قيام مطبعة بشروط، راجع Berkes the developement of secularısm

٩ – جميع أسماء الكتب التي طبعها ابراهيم متفرقة مذكورة في كتاب Toderını, G de la lıtterature de turcs

والتي اقترحَ توسيعها ، كانت قد سيت فعلاً منذ بضعة أعوام في صكتاري بواسطة الأمر الصادر عن السلطان. وكانت المطبعة قد نقلت إليها عام ١٨٠٣. إن حريق هذه المؤسسة المفيدة والحميلة ، ليس إلا من الحوادث التي يرثى لها والتي رافقت الفصول الدموية التي كانت العاصمة العثمانية وضواحيها مسرحاً لها حلال شهر تشرين الثاني - نوفمبر ١٨٠٨.

والمؤلَّف الأول الذي خرج من مطبعة صكتاري ، بعد قليل من نقلها الذي تحدثنا عنه آنفاً ، كان كراساً باللغة الفرنسية للمهندس سيد مصطفى. والأحرف التي استخدمت في طباعته هي نفسها التي كان ابراهيم متفرقة قد أعدها لإتمام واعداد مؤسسته الطباعية عام ١٧٢٧. وكتاب القواعد التركية ، المكتوب بالفرنسية الدي صدر في القسطنطينية عام ١٧٣٠ ، كان يجب أن يتبع بقاموس فرنسي ، إيطالي ، يوناني ، تركي إلخ ، لكن لم يطبع منه سوى الصفحة الأولى.

وهذه الأحرف الرومانية ، التي ليست حتى إيطالية[١٠] ، لا يمكن مقارنتها بالأحرف التركية أو بالأحرف العربية ، التي أعدها ونفذها بعناية ابراهيم نفسه. هذه الأحرف تستخدم أيضاً في طباعة العربية والتركية والفارسية ، المتشابهة كثيراً في

١٠ - ايطالية ترحمة لكلمة (italique) التي تعني نوعاً من الحروف المنحنية المستخدمة في الطباعة

الكتابة...[11] ومع ذلك فإن تفاصيل رائعة يمكن لها أن تصبح مضجرة، لذا عليّ أن أختمِ رسالتي ها هنا، لكي لا تصبح (هذه المقدمة) أكبر حجماً من الكتاب الذي أريد إعادة طباعته والذي رأيت فائدة سبقه ببضعة ايضاحات[12].

المكتبة الامبراطورية

أيلول – سبتمبر ١٨٠٩

ل. لانغليه

---

١١ – حذفنا من الترجمة عدة أسطر قليلة تتحدث حول ميزات الأحرف المستخدمة في المطبعة التي يجري الحديث عنها

١٢ – توخينا اثبات ترجمة لمقدمة الناشر الفرنسي للاطلاع على مدى اهتمام الفرنسيين ومعرفتهم لما يجري داخل الدولة العثمانية

مقـدمة [١٣]

شعرت منذ نشأتي في القسطنطينية في طفولتي المبكرة بميل إلى دراسة العلوم والفنون. وتبعاً لهذا الذوق المبكر الذي لحظته في نفسي، صرت متصلباً تجاه الفلاسفة الذين يرفضون قبول النزعات الفطرية عند الإنسان. هذه الشيعة من الفلاسفة الكثيرة العدد والمنظورة تستند في الحقيقة إلى أسباب قوية للغاية. وبنفيها لهذا الذوق الفطري عند الانسان، لأسباب شتى، تؤمن بأن أي اندفاع أو معرفة غريبة لا يمكن أن تتأتى أبداً: «العلم عند الإنسان ليس إلا خاصية ثانوية لا يمكنها، كما يقولون، إلا ان تكون مكتسبة. فكيف لمن لم يوجب له إدراكه ان تكون له معارف، لا تكتسب إلا بدراسة متواصلة ومتابرة»[١٤].

---

١٣ – جميع العناوين الفرعية هي من وضعنا، ارتأينا اثباتها لتسهيل قراءة النص وتفصيل موضوعاته

١٤ – ينادئ المؤلف سيد مصطفى الحرب المعارض والتقليدي المحتوم مميزاً نفسه بصفات ينتزعها في النتيجة من المؤثرات الفرنسية عليه

هذا الرأي لا يمكن نقضه بمجرد الشك ، وسير الطبيعة الثابت والعادي هو على ما هو عليه. ولكن أليس ثمة استثناءات للقاعدة؟ أفلم نــرَ العكس؟ وسكال[١٥] التشهير ألا يمكن استخدامه كمثال؟ فكيف أمكنه الخلق بدون يد مساعدة ، في عمر مبكر إلى حد بعيد ، وكيف توصل إلى معرفة مسائل اقليدس الاثني والثلاثين وبرهنتها بطرقه المختلفة؟ ومن بين أمثلة واستثناءات أخرى ، كان هذا بالنسبة لي هو المثال الأول[١٦].

طرق المعرفة :

ألعابي في طفولتي كانت تتشكّل من رسمي لدوائر على الأرض وزوايا ومتواريات ورسوم أخرى محدودة شرحتها لرفاقي كثيراً. ثم شعرت بالحاجة إلى بركار لأتأكد من صحة نسب تصاميمي ورسومي التي كنت أخطها حتى ذلك الوقت بالتلمس. لكن البركار لم يكن معروفاً لا بالفعل ولا بالاسم[١٧]. ولا يمكنني أن أنسى تلك السعادة أبداً ، في

١٥ – (Pascal B) (١٦٢٣ – ١٦٦٢) رياضي وفيلسوف فرنسي. يشتهر بنضجه المبكر

١٦ – من الملفت للانتباه ان يجعل مسلم أوروبي مثاله الأول في تلك الحقبة المبكرة. ويسعني أن نلاحظ هنا مدى تأثير مطالعاته حول تركيب أفكاره

١٧ – إشارة تدلنا على وضع العلوم في القسطنطينية في النصف الثاني من القرن ١٨

تلك اللحظة التي تنبهت فيها إلى ربط خيط إلى وتدين واستخدامه في رسم منحنيات متساوية.

كذلك فإن نظارة مقرّبة تعود لوالدي أعطتني الفرصة لأصرح، أمام جمع كبير، بان القمر هو على شكل كروي، بعد ان راقبته، تلك الليلة للمرة الأولى.

وبوصولي إلى سن النضج، لم أكن أفعل أكثر من تفحصي، وبحشرية كبيرة، كل أنواع الأدوات والآلات التي تقع تحت يدي. أما تشكيل أرباع الدوائر ومسائل أخرى من نفس الطبيعة، فقد أصبح عندي أمراً عادياً للغاية.

وبشكل مباشر انشغلت بدراسة الرياضيات: إقليدس[١٨] ومقاطع أخرى قديمة مترجمة إلى العربية، شكلت عندي المبهجات الأولى. وصرت أتردد إلى المعلمين الأتراك ليلاً ونهاراً. هؤلاء المعلمون الذين كانوا يملكون بعض المعلومات من هذه العلوم، ومن بينهم كان چلبي أفندي الذي أوضح لي حساب اللوغاريتم[١٩]، الذي علمه اياه أحد اليونانيين. أخيراً، ودون أن يشبعني ما كنت قد تلقنته، لم أشعر في نفسي إلا

---

١٨ – أقليدس. (Euclid) ٣٣٠ – ٢٧٥ ق م عالم رياضيات يوناني وصع مبادئ الهندسة.

١٩ – اللوغاريتم نوع من الحساب أوجده عالم عربي هو الخوارزمي وسمي باسمه

بتضاعف .هذه الحماسة التي لا تشبع في التوصل إلى معرفة لا متناهية بالمجهول ، أحسست بقيمتها ، بالرغم من جهلي .

أما المؤلفات الأخاذة والأدوات التي تأتينا من بعض أقاليم أوروبا ، بتركيزي لانتباهي ، لم تدع لي مجالاً للشك حول مكان المركز الذي يمكن لهذه العلوم ان تتواجد فيه مجتمعة وحية . هذه العلوم التي كرست نفسي لها . لذا فقد تكونت لدي فكرة الاقتراب من هذا المركز ؛ وبدون أن أفقد الوقت ، أخضعت نفسي لدراسة اللغة الفرنسية ، كأشد اللغات عالمية ، وقادرة على أن تقربني من معرفة الآخرين الذين كتبوا حول هذه الفنون الرائعة [٢٠] .

الريـــاضيات :

والرغبة التي كنت مولعاً بها قادتني بسرعة إلى هدفي ، ففي وقت قصير وجدت نفسي في حالة قادراً معها على تصفح كتب وولـف (Wolf) وأوزنام (Ozanam) وبوليدور (Belıdor) [٢١] . وعدد آخر من المؤلفين من هذا النوع . وقد

٢٠ – تشير الفقرة هده إلى عدة أمور مجتمعة ان الكتب الأوروبية العلمية أصبحت متداولة بين الطلاب على الأقل في القسططيبية قبل وصول سليم الثالث إلى الحكم. وان دراسة اللعة العرسية أمر ممكن القيام به بدون الدهاب إلى أوروبا . وهدا يعطينا مكرة عن التأثير العربي في القسطنطيبية في النصف الثاني من القرن ١٨ .

٢١ – رياصيون وعلماء أوروبيون من القرن الثامن عشر

أفدت فعلاً، لكن ليس إلى الحد الذي يملؤني بالسعادة. فهؤلاء المؤلفون الكلاسيكيون، الغامضون إلى حد ما، لا يستطيعون أن يوصلوني إلى غايتي التي كانت معرفة تطبيق الرياضيات في «التكتيك»[٢٢] والهندسة العسكرية. وما هو أكثر أهمية من ذلك، الوصول إلى درجة من الكمال والاتقان الجديرة بأن تجعلني قادراً على تطبيق أو استعمال هذه العلوم في سائر فروع الميكانيك[٢٣] المتفرع عنها.

وبقوة العمل، فإن حساب الجبر صار عندي أداة مألوفة، فكنت أقتل الوقت في تمرين أو تدريب نفسي بنفسي، مترقباً اللحظة حيث الفرصة السعيدة في رحلة إلى أوروبا يمكنها ان تحضر. حتى اقتنع فجأة سلطاننا بأن كل الامتيازات التي تشرف ملكاً هي بتحصيل العلوم والفنون، وهي بدون منازع الأكثر لمعاناً وأهمية لشعبه.

هذا السلطان، أقول، الذي لا أريد أن أرفع هنا المديح له وهو الذي يستحقه. لأن الصدف إذا أحسنت بإيصال هذا الكتاب الصعير إلى يديه الجليلة، فلا يرفضه كما

---

٢٢ - يبدو ان عبارة تكتيك ("tactic tactique") أصبحت شائعة في تلك الحقبة ومستخدمة على نطاق واسع عند دعاة الإصلاح، العسكري. لما ترمز إليه في آن إلى معاني النظام - الترتيب - وسيلة - وسيلي الح

٢٣ - فضلنا ان نترك كلمة ميكانيك (Mécanique) على حالها ولا ندري ما كان باستطاعة المؤلف أن يستخدم كبديل لو كتب بالعربية أو التركية

يرفض مداهنات السفهاء من مؤلفي أمتنا ، ولا تتأثر عواطفه الرقيقة بالحقيقة نفسها المرفوعة له . فلن أفعل ، أقول ، في مجال الثناء ، سوى ان أسميه هنا . وهذا سيكون ، أن أظهر اسمه ، في مدحه كثيراً .

سليم الثالث إذاً قرر إنشاء مدرسة كبيرة وجديدة للرياضيات قرب «الترسانة» في صدليزة (Sudlıdzé) . وطبع مشروع هذه المدرسة خفف حماسي قليلاً بالنسبة لفكرة سفري إلى أوروبا ، وفكرة أن أستفيد في داخل وطني[٢٤] وأن أكون له مفيداً أيضاً ، سحرتني وغلبتني ، فأجلت السفر .

المحاولة الأولى :

وقد أنشئت المدرسة وتوفر لها المعلمون والطلاب الدائمون والمدفوعو الأجر ، وقد كنت في عداد الأخيرين ، فبدأنا بالعمل بين الجمهور : وكانت هي المرة الأولى التي يسمع فيها الناس الجهلة في القسطنطينية دروساً عامة في الرياضيات ، ورأوا فيها أعمالاً هندسية في الملأ . لكن صوت العجز والجهل ارتفع من كل الجهات . فقد أرهقونا واضطهدونا تقريباً ، وكانوا يصرخون قائلين : لماذا تضعون هذه الخطوط على

---

٢٤ – وطن (Patrie) بالفرنسية ، وهي المستخدمة في النص الأصلي ، لا تعادل بحال تعبير أمة في الآداب الاسلامية

الورق ، وما هي الفائدة التي تعتقدون أنكم ستجنونها؟ الحرب لا تصنع بالبركار والخطوط : وألف عبارة مشابهة أرادوا بها إذلالنا[٢٥].

أحزننا هذا الأسلوب وأفقدنا الأمل في القدرة على تنوير العامة. لكن كنا مرة أخرى شهوداً للتأثير الرؤوف لمولانا السلطان ، فقد ترك للحظة مشاغله المختلفة في سبيل إسعاد شعبه ، وادار عينيه نحونا : تفحصنا بانتباه فاقتنع بتقدمنا ، فقد رأى اننا كنا في حالة عمل لنكون له نافعين. فتحين الفرصة ليدربنا في نفس الوقت ، وأثبت بشكل ملموس لكل طبقات الناس الفائدة الكبرى التي تشتمل عليها العلوم الرياضية المطبقة في فن الحرب والتحصين والدفاع.

فقد عمل لنا تصاميم لحصون عادية وغير اعتيادية ، حسب وضع مختلف الأراضي التي عينت لنا. كما عرض لنا برهان وحجاج مكتوب حول شكل التحصين الذي وجدناه مناسباً. فعللنا مزاعمنا وتأكيداتنا بكل ما أملته علينا معارفنا حول الفن الهندسي. وبعد أن أعطى الأمر ، أنشئت نماذج من هـــذه القلاع في سهـول مير أهـور كيـوشكـو (Mır-Ahour-Kıochku) وأوغ ميداني (Ok-Meıdani) ولاوند – جفتلك (Levend-Tzıftilık). وأماكن أخرى

٢٥ – يوصح لنا هدا الوصف موقف العامة من الإصلاحات

حول القسطنطينية. هذه النماذج من القلاع الصغيرة، التي نفذت بعناية تحت إشرافنا، بكل ما يلحق بها من التحصينات المغطاة بالأعشاب، والطرق المغطاة أيضاً وكل الأمكنة التابعة لها، صارت تجذب جمعاً غفيراً من سكان القسطنطينية.

هنا، وفي أيام محددة ترأسنا في تمارين وتحركات عسكرية. فوضعنا العدد اللازم من الجنود والضباط للدفاع عن هذه المواقع الصغيرة، وأعطينا مخطط الهجوم للقوة المهاجمة. ونفذت عمليات متعددة من هذا الفن بنجاح ورضي عنها سلطاننا الجليل، الذي لم يكن يهمه سوى إثارة إعجاب ورضى الجمهور، وإثبات الفائدة من وجود قوى نظامية وضباط كفوئين ومهندسين فطنين وماهرين، فهم الوسيلة الوحيدة للقيام بحرب ناجحة[٢٦].

والواقع فإن أفضل نتيجة توجت محاولاته، الاستحسان العام الذي تلى ذلك، فعلامات الرضى حلت مكان العبارات البذيئة والتهكم، وتجاوز أمالنا تحول غير منتظر، إلى درجة لم يعد لدينا اليوم لحظة للإضاعة في مدرستنا: فنقدم فيها يومياً دروساً في كافة فروع الرياضيات. كذلك في كل مكان

---

٢٦ – كان الهم الرئيسي للإصلاح هو الوصول إلى قوات نظامية للقيام بحرب ناجحة

وفرة الطلاب هي نفسها. وأخيراً فقد توصلنا إلى أن نصير محترمين وفرحين وسعداء.

مضاعفة الجهود:

لكن سلطاننا الجليل لم يكن راضياً عنا تماماً، فقد طلب إلينا ضباطاً كفؤين لقواته النظامية. لذا فإن الطلاب الموجودين بالقرب منا، والمنتزعين من جسم المدفعية والقناصة والمجنّدين، عليهم أن يتلقّوا المعلومات الضرورية لاختصاصهم ليعودوا إلى وحداتهم، ليصيروا ضباطاً متنورين. هذه إذاً مهمات يجب القيام بها وهي لا تدع المجال لصعوبات كبرى.

عدا عن المهندسين المساحين الذين استطعنا تخريجهم لخدمة الدولة، فإن الأمر يتعلق اليوم بمهمة كبرى: فسلطاننا الجليل يريد أن يرفع خريطة لكل بلاد آسيا الواقعة تحت هيمنته. والأطلس العام الذي خرج حديثاً من مدرسة الطوبغرافية الحديثة يشتمل على أفضل الخرائط الجغرافية التي يمكن أن تستخدم لفائدة تدريس الجغرافيا، كذلك فإن القاموس الذي ترجم حديثاً إلى اللغة التركية يؤدي تماماً هذه المهمة. وإننا لنلاحظ بان آسيا ليست معروفة إلا قليلاً عند أفضل جغرافيي أوروبا. واننا إذاً مدعوون جميعاً لاتمام هذا

العمل المشرف ، وأتمنى أن أكون بين الذين سيعملون في هذا المشروع الجميل.

وإنني لا أهمل أبداً ، تبعاً للواجب ، أن أخصص جزءاً من جهودي من أجل أساتذتي المؤلفين الأوروبيين ، حيث فتحت لي مؤلفاتهم باب العلوم : والسعادة بأن تعم ، هذه العلوم ، جميع بلاد العالم هي رغبة كل فيلسوف.

لهذا الهدف المزدوج أشرع بهذه الكتابة القصيرة : فمن ناحية لأعترف بفضل أساتذة هذا الفن ، ومن ناحية أخرى لأعد جدولاً حول الحالة التي كان يوجد فيها سابقاً الفن العسكري والهندسة في هذه البلاد ، والثورة السعيدة[٢٧] التي أوجدت (هذه العلوم والفنون) في وقت قصير.

وأزين لنفسي أن أي هاو أو مستطلع لن يكون رافضاً لهذا العمل أو مستخفاً به : فإن واحداً من الأوروبيين المقيمين أو العابرين في هده العاصمة ، لم يعر هذه المسائل اهتمامه أو يعمل على تعميق هذه المواد ، لأنه مشغول في أمرين : إما السياسة أو التجارة.

---

٢٧ - إشارة إلى وصول سليم الثالث إلى الحكم ويستحدم المؤلف كلمة (Révolution) ، ولا ستطيع أن نؤكد ان استحدامه لهدا التعبير قد تم تحت تأثير الثورة الفرنسية الحديثة العهد حصوصاً انه يستحدم التعبير بمعنى إيجابي من ناحية يجب أن نشير إلى كلمة ثورة كانت تستحدم للإشارة إلى انتفاضات الانكشارية المناوئة للإصلاح

ولم تدع الرغبة الشديدة في أن تكون هذه الصفحات مقروءة أي مجالٍ للخجل. فلم أتردد عن الكتابة في لغة لا أستطيع من خلالها أن أنزع اعجاب قرائي. فإنهم سيعذرون دائماً هذا المسلم، عن طيب خاطر، نظراً لحسن نيته. كما انهم سيتغاضون أيضاً عن كل الأخطاء المطبعية. فالطباعة لا تزال في بدء عهدها في المؤسسة الجديدة في صكوتاري.

سيد مصطفى
مهندس ومدرس
في مدرسة الرياضيات في سيدة ليدزة

تتابع العصور والتغير الدائم في الأزمنة يبدل وَيشكل على نحو مختلف مصنع الكون هذا ، ومحترف الانسان أيضاً. فالأمم والبشر يتغيرون وكذلك المؤسسات البدائية المتفانية تتشعب. والعلوم والفنون تقوم بجولتها حول العالم ، أما المعارف فإنها تتبع وتخضع لمن يغذيها ويشرفها ، كما لو انها تختار مركزاً ونقطة لقاء.

وثمة عدد لا متناه من البراهين على ما أشرنا إليه. والتاريخ يوفر لنا إشارة مؤلمة حول هذه المسألة. فهارون الرشيد[٢٨] هو الذي بعث بساعة إلى شارلمان[٢٩] ملك فرنسا وأول امبراطور للغرب وكانت هذه هي المرة الأولى التي يظهر فيها هذا الصنيع في أوروبا.

أم أوروبا الشهيرة والفخورة بتملكها لعدد كبير من

---

٢٨ – هارون الرشيد (٧٦٤ – ٨٠٩ م) في عهده امتدت الدولة الإسلامية إلى الهد وبلغت أوح تقدمها.

٢٩ – شارلمان (٧٤٢ – ٨١٤) ملك الفرنجة ، وامبراطور العرب من (٨٠٠ حتى ٨١٤) والقصة التي يشير إليها المؤلف شهيرة في التاريح ، إد تتحدث عن ساعة معقدة الصيع تحدث صوتاً ويحرح منها «حنود» اصطناعية عند انتهاء كل ساعة حسب إحدى الروايات وقد جرت الحادثة حوالي عام ٨٠٧ وتروى هده القصة للإشارة عادة إلى تقدم المسلمين وتخلف العرب آنذاك .

روائع الفن وروائع العلوم ، كانوا تلامذة للاتين ، وهؤلاء كانوا تلامذة لليونان ، وجميع هؤلاء لم يكن بإمكانهم المجادلة في الأسبقية التي كانت للفهرس والمصريين والهنود ، أو نفي أن هذه الأقاليم لم تكن مركزاً للعلوم .

واليوم وبفعل التجدد الدائم لكل أحوال الأشياء ، فإن المعلمين المندهشين من مهارة تلامذتهم ، ليسوا للأسف إلا محتاجين لهم[٣٠] .

علوم العثمانيين :

وأول من تملك عرش بني عثمان من السلاطين الذين جمعوا بقايا شتات (علوم) الفرس واليونان . قد فعلوا كل ما يمكن فعله في ذلك الوقت لإحياء الهيكل المتبقي من الفن العسكري . ويمكننا اعتبارهم كحفظة على قواعد هذا الفن ، فتنظيم الكتيبة ، الميمنات والميسرات والوسط والمقدمة والمؤخرة . هذه المبادئ الأولية جميعها من الفن استمرت ، وربما بسبب الاستخدام الذي قاموا به : إذ إن دويَّ المدافع

٣٠ - نلاحظ في مجمل الفقرة السابقة محاولة من المؤلف لتبرير «تخلف» شعوب وتقدم أخرى بالاستناد إلى فلسفة التطور والتقدم . ولا شك بحدة هذا الحديث بالنسبة لمسلم ، اما غاية الحديث فهي تبرير الأخذ والاحتياج إلى من نطهم تلامذة لنا

والقنابل لم يكن يسمع في ذلك الوقت، والحرائق لم تكن لتظهر كما في عصر النار والشعل هذا.

فهؤلاء المسلمون الطيبون، أجدادنا، لم يكونوا بحاجة. وكانوا بعيدين جداً عن معرفة حساب المثلثات لتشكيل وبناء الحصون والزوايا الناتئة في قلاعهم. فكل موقع يقع بين أيديهم كان يحول، حسب الحاجة، إلى حظائر هزيلة الدفاع. وكانت تلك هي الوسيلة الوحيدة في دلك الوقت لحماية أمكنة المحاربين هذه في تلك الأزمنة، هؤلاء المحاربون المسلحون بالسيوف والسهام والرماح والمذوابات، وأسلحة أخرى من هذا القبيل.

ومع ذلك فإن معاصريهم وأعداءهم، أكثر جهلاً مهم، والعاجزين عن المدافعة والمحاربة سيتبعون طريق القوة والنباهة: الشعوب اليونانية، البلغارية، والفرنج سيدخلون في هذا الرعب الذي يأخذ عادة الجيوش غير المنظمة إدا أخفقت ولو مرة واحدة[٣١].

---

٣١ - لا يحلو كلام المؤلف من نقد لأحوال الفن العسكري عند العثمانيين. وهدا ما سيتوصح أكثر فأكثر حلال السياق أما نشأن العلوم عند العثمانيين. ومنها العلوم العسكرية فيمكن مراجعة كتاب

Adıvar, A les sciences chez les turcs ottomans Paris 1939

ويتحدث هدا الكتاب عن مجمل العلوم في الامبراطورية العثمانية مند نشأتها وحتى بداية القرن التاسع عشر

تقدم الفن العسكري :

هذه الحالة ما لبثت أن أخذت وجهاً آخراً. فالأمم المختلفة ستشعر بأهمية النظام العسكري، وستتوصل إلى الدفاع عن جبهاتها بشكل متفوق على الجيوش العثمانية. وبفعل الجهود والخطط العسكرية ستقلب موازين القوى لصالحها ضد اعدائها. لكنها لن تكتفي بهذا القدر فقط: فمنذ دلك الحين بدأت ثورة مدوية في الفن العسكري، كل الأمم الأوروبية ستجهد لكي تتخطى كل واحدة منها الأخرى، عبر الاختراعات اليومية لكل أشكال الآلات، وإصلاح وإتمام الأسلحة من كل أنواع الدفاع والهجوم، وسينفذون دلك بأكبر طاقة ممكنة، أخيراً فإن الهندسة العسكرية ستستفيد من كل المعارف الرياضية. ويجوز القول هنا، بـأن آلات الحساب، كالبركار مثلاً، كانت تستخدم وسط النار والدم.

كل الأمم كانت ترغب في الوصول إلى الصف الأول من القوة العسكرية، فتستفيد كل أمة وتتعلم من أخطاء ونجاحات جيرانها. والتاريخ يقدم لنا أمثلة صارمة في مغزاها حول بعض ملوك أوروبا الذين كانوا يحكمون ويبذلون جهوداً مدهشة واعتناء لا يصدق. دولهم في الداخل لم تكن تسمح بالهزيمة ولا ان تحبط عزائمها بالهزائم التي كانت تلحق بها في الخارج، بل على العكس، كانوا يستفيدون من أخطائهم

وهزائمهم ومن انتصارات أعدائهم أيضاً، ليثبتوا النصر في جبهاتهم أخيراً.

ولنعد إلى أجدادنا العثمانيين، فبسبب من فتوحاتهم وانتصاراتهم الماضية، ما كانوا يترددون في الاعتقاد انه بالقوة والشجاعة، الفضيلة التي لا تضاهى عند جنودهم، يمكنهم التغلب على كل جيش منظم وفق الفن العسكري وتقوده نخبة نبيهة.

هذا الوهم الذي ترسخ وتجذر فيهم، كما أشرنا قبل قليل، نتيجة لانتصارات فعلية حصلوا عليها في مراحل متعددة، تركهم في حالة من الشلل، وتقدمهم الضروري لم يكن له أي مكان، فنسوا أنفسهم كلية. أما الوسائل الفعلية التي تقيهم من هذا السبات فإنها لم توضع موضع التطبيق أبداً، بل ذهبوا أبعد من ذلك، فكانت القوى المنظمة والمنسجمة في الجسم العسكري بنظرهم لعب أطفال. أما طبقة الاغبياء والشكاكين في كل أمة التي لا يمكن أن تكون هي المثال، استفادت من حالة الأمور هذه: اقتنعت بأبسط الأشياء إلاّ تقليد (الأمم الأخرى)، والاندماج مع بقية الشعوب، ليس (بنظرها) إلا جريمة.

وقد جند هؤلاء ضد العقول المتفتحة الذين تنفسوا الصعداء بعد الإصلاح.

وهكذا فإن هؤلاء التعساء توهموا الغلبة على مبدأ استخدام سلاح مشابه للدفاع. صار استخدامه جريمة على المسلم. وعمموا هذه الفكرة الخاطئة، إلى درجة انهم آمنوا بأن الأمم الأخرى هي على ضلال. وأساؤا فهم فطنة وبصيرة الآخرين الأكثر علماً وذكاء[٣٢].

وأخيراً، شيئاً فشيئاً، تراجعوا إلى مصاف الأمم غير المحاربة وغير المنظمة، فلم يعد لدينا من ملجأ غير الشرف والشجاعة المجردة من كل فن، وهذا ما لا يمكن أن يكفي على الاطلاق. وقد جرى التنبه، ربما، إلى أسباب ضعف امبراطورية بهذا الاتساع، المهملة المصادر التي لا تنضب. وغير المشابهة لأي أمة من الأمم التي تغطي سطح الأرض، بفعل غناها الطبيعي والحقيقي.

دور السلطان سليم:

وعندما صعد سلطاننا الجليل سليم الثالث إلى عرش

---

٣٢ – يتصح لنا مں السياق ان نقد المؤلف موحه صد فئات لا يسميها صراحة، وهي في الواقع رعماء الانكشارية الدين كانوا يملكون نفوداً قوياً أطاح بالسلطان نفسه في نهاية المطاف كدلك فإنه يوحه نقده إلى رحال الدين، أو بعصهم على الأقل، الدين وقفوا صراحة صد إصلاحات سليم الثالث راحع بهدا الخصوص المرحع المدكور في لائحة المراحع
Shaw, S Between old and new

اجداده ، في زمن الحرب التي أعلنها عمه[٣٣]، نضجت في رأسه فكرة مشروع تجديد عهد الامبراطورية التي يحكمها. ومع انه أدخل مبادئ طيبة لم يتأخر في الكشف عنها فيما بعد ، فإنه لم يستطع أن يباشر رغباته في وسط انشغالات هذه الحرب ، فاكتفى بأن أوصى إلى وزرائه برغبته وبتحضير الأذهان لتقبل الاصلاحات التي يعدها.

وعقب الحرب مباشرة (كما يمكننا أن نلاحظ من خلال كتاب جدول التنظيمات الجديدة للامبراطورية العثمانية ، التي قام بها سلطاننا الجليل المؤلف باللغة الفرنسية والتركية ، والمترجم فيما بعد إلى لغات متعددة)[٣٤] أعاد بناء النظام الضريبي[٣٥] وأحدث بيت مال جديداً وشكل فرقاً عسكرية منظمة للمدفعية. وشيد مدارس لنشر العلوم وأنشأ كذلك

---

٣٣ – المقصود هو السلطان عبد الحميد الأول (١٧٧٣ – ١٧٨٩) وقد أعلن الحرب على الروسيا عام ١٧٨٧ واستمرت هذه الحرب في عهد سليم الثالث حتى سنة ١٧٩٢

٣٤ – الكتاب هو من تأليف محمود رئيف أفندي المسمى «محمود الانكليزي» وقد كتبه بالفرنسية تحت عنوان

Tableau des nouveaux réglements de l'empire ottoman

طبع في مطبعة الهندسة الحديدة في القسطنطينية سنة ١٧٩٨ والكتاب مكوّن من ستين صفحة ويحتوي على ٢٧ لوحة تمثل أهم المنشآت التي أنشئت في عهد سليم الثالث وقد طبع الكتاب مرة أخرى في برلين عام ١٨٠٢

٣٥ – صندوق مال جديد المعروف باسم (إيراد – جديد) (irad-i-djedid) ويعتبر من أهم إصلاحات تلك الحقبة

مصانع ومحازن وكل أنواع المنشآت اللازمة. ولم يهمل أي فرع يتشكل فرعاً من الإصلاح العام.

هذه البداية السعيدة لم تكن إلا معروفة من الجميع، ولا نريد أنْ ينفذ صبر القراء في ذكر كل ما تأتى إلى معرفتهم سابقاً. ولكن للشهادة علينا أن نقول لهم أن كل هذه المؤسسات الجميلة كان يمكنها أن تبقى في مهدها حيث كانت ستخنق في مولدها، لولا الطبيعة الثابتة التي لا تتغير لمولانا السلطان التي أتت لنجدتها: طالما أن أفضل التبدلات في الدول هي مجال للمضايقة والعنت إلى درجة لا ترد أو تقهر، وليس ثمة غير الثبات والمواطنة يمكنها أن تحقق الإصلاح وتنصره[٣٦].

مجموعة من الانتقادات الكثيرة، غير المدعمة بالوقائع، قد أطلقت حيناً بسبب القصور وحيناً بسبب سوء النية أو المصلحة، أمكنها ان تحدث همهمة واسعة فحسب، وتوجد آلاف الحوادث القادرة على تجميد وإخافة، لو كان ذلك ممكناً، حماسة الملك وحرارة المتعاونين معه الدين احتارهم لإتمام هذه المشاريع الطيبة. لكن لم تستطع أي واحدة من هذه العقبات التي بيتها ذوو النوايا السيئة، أن تزعزع مشاريع الإصلاح لحظة واحدة، طالما ان خطط

٣٦ - إشارة إلى موقف قوى المعارضة التي عارضت الإصلاحات

إصلاحه لسلطنته قد رسمت وحددت. فقد تابع بأناته وصبره الذي يميز عظام الرجال مشروعه. وحماسه، بدل ان يتباطأ بسبب هذه الصعوبات التي تنصب أمامه، قد تضاعف.

مشاريع أخرى:

ولم يسعده ويكفيه تحسين ومضاعفة قواته النظامية في مؤسسته في «لاوند جفتلك»، فقد عمل على خلق مؤسسة جديدة وقد نفذ ذلك.

وأمام السرايا الموجودة في مدينة صكيتاري[٣٧]، قرب آثار مدينة خلقدونية[٣٨]، توجد سرايا واسعة وقديمة، هي مقر الجبهة التي كان السلاطين السابقون يقدرونها كثيراً: هناك أسَّس تحت إشرافه مباشرة القصر الأكثر اتساعاً والأكثر جمالاً على شكل ثكنة. وقد أقام في الجهة المقابلة ميداناً واسعاً جداً لتدريب المشاة والخيالة بالإضافة إلى مسجد وبيوت لكبار الضباط، وحمامات ودكاكين. وكل ما يلزم لإقامة مدينة ثانية قد بُني وعُني به بشكل منظم، حيث أنشئت مدرسة جديدة

٣٧ - صكتاري (Scutarı) مدينة نمت في عهد الإصلاحات تقع في الجهة المقابلة للقسطنطينية على الضفة الآسيوية للبوسفور يسميها الأتراك (Uskudar) اسكودار

٣٨ - خلقدونية (Chalcedoıne) مدينة أثرية قديمة مشهورة. عقد فيها مجمع مسكوني عام ٤٥١ م

ومتسعة للطوبغرافيا[39] مزوَّدة بمراجع في مختلف اللغات. وأدوات لرسم الخرائط الجغرافية والتصاميم الأخرى المختلفة. وأخيراً يمكننا أن نذكر بأن خمسة آلاف ليرة لم توفر ولم يبخل بها لتأسيس هذه المؤسسة الضخمة.

وهكذا فإن سلطاننا وضع الأمر وفق رغبته المعروفة من مسألة تكاثر وتقدم العلوم المفيدة في سلطنته. وقد فرض الصمت، متوسلاً بذلك تجنب كل نذير جبن. مبرهناً بذلك أنه فوق كل صغائر الأمور. وبهذا أخرس أصوات الجهل، وأجبر كل طبقة الرجال على متابعة مثاله وبالأحرى طموحه للتوصل إلى المستحيل..

هذا الاندفاع السعيد لم يعد مجرد تصور لدينا، وقد أصبح ناجزاً الآن: فلجنة صكتوري الموازية للجنة لاوند جمتلك، وقد قسمت منذ حين إلى أفواج وسرايا (سرية) تبعاً للقواعد المتبعة حديثاً، فثيابهم صارت خفيفة وضيقة، والألوان الموحدة تميز ثيابهم. وإشارات التحية التي تقدم للصباط لم تعد إشارات للاحتقار والكراهية. ولكن على العكس من ذلك، صارت وسائل للتشجيع كذلك فإن الجنود الذين لا يتعبون من ممارستهم لتدريبهم العسكري كل

---

٣٩ - طوبغرافيا (Topography) أتقيا على الكلمة الأجنبية التي تعني اليوم «مسح هندسي»

يوم ، والذين يقومون برمايات حية مرتين كل أسبوع ، توصلوا إلى تنفيذ كل التدريبات العسكرية ، فاحتذبوا اعجاب المدربين بحركاتهم وتشكيلاتهم المنتظمة في عدة كتل. واحدثوا في أبناء البلد الرغبة في التطوع .

وكثير من الأجانب الأوروبيين المتضلعين بالفن العسكري ، من الذين شهدوا هذه التدريبات العسكرية ، أكدوا لي ، أنه لا يمكن الحكم عليهم ، تبعاً لقوة التنفيذ ، كجنود متطوعين حديثاً ، ولكن يمكن اعتبارهم بشكل أكيد كمحاربين قدامى خاضوا معارك عديدة

وأمكنني أنا شخصياً ، أن أكون شاهداً على الحيوية والنشاط التي ينفذون بها كل ما يدرسون . وقد شرفنا ضباط من اللحنتين الذين كانوا يحضرون دروسنا في مدرسة الهندسة بحكمتهم ، فقد كانوا يطبقون كل النظريات في مجال فنهم ، بكل سهولة وجدارة . ومن بين هؤلاء يتميز أبناء القسطنطينية عن الذين من خارجها ، فسكان المناطق المعتدلة عادة ليسوا مجردين من ذلك التوقد الذهني ومن خفة الجسد.

واليوم بعد أن أصبحت الرغبة في التطوع عامة ، يمكننا أن نحصي أمثلة كثيرة ، ولم يعد من النادر رؤية جندي لم يمض على تطوعه غير ثلاثة أو أربعة أسابيع يظهر جدارة

في التدريبات مع حفظه للنظام مع كل أهلية وجدارة جندي قديم[٤٠].

التجنيد :

لكن الشيء الوحيد الدي ما رال يزعج سلطاننا حتى الآن هو مسألة عدد القوات النظامية ، فهو منزعج دائماً لأنه لم يتوصل إلى العدد الذي يتطابق مع الحطة المرسومة . على غرار جسم المدفعية والقوات الضاربة التي لا يترك كمالها مجالاً لرغبة ، ولأنه عدا عن المدفعية القائمة والمكونة من عدد كاف لخدمة عدد كبير من القوات العسكرية ، فقد تشكلت ونظمت هنا مؤسسات للرماة الذين يستخدمون في الدفاع عن المشاة والذين بإلحاقهم في هذا الجسم عند الحاجة ، يستطيعون أن يشكلوا فرق هجوم .

وهكذا فإن ملكنا العادل بعد أن وضع اللمسات الأخيرة على مؤسسة صكتوري ، لم يعد ينتظر زيادة قواته النظامية عبر التطوع اليومي الذي يحدث في العاصمة . ولكنه

---

٤٠ – بالرغم من المؤلف يريد أن يذكر جميع الإصلاحات التي تمت في عهد سليم الثالث والمنشآت التي بنيت إلا انه يورد ذلك بشكل سريع دون التوقف عند التفاصيل ، ولمعرفة دقائق هذه الإصلاحات وتطورها يراجع الكتاب المذكور سابقاً

Shaw, S Between old and new

أمر بأن يصارإلى التجنيد العام في مقاطعات آسيا الصغرى ، ولكن مع احترام الإرادة الفردية[٤١] .

وهكذا وفي المرحلة الأولى فإن المقاطعات التالي ذكرها ، شكلت بطيبة خاطر العدد التالي من المجندين الذين ضموا إلى فيلق صكتوري ، وهي على الشكل التالي :

الصناجق[٤٢] أو المقاطعات .	**الجنود**
نيقية	١٠٠٠
قيصارية	١٠٠٠
بغ – شاهير	٢٠٠٠
انقورا	٢٠٠٠
كوتاهية	١٠٠٠
قصتاموني	١٠٠٠
بولو. وفيران شهير	٢٠٠٠
أكشهير	١٠٠٠
أضنة	١٠٠٠

٤١ – الأمر بالتحبيد العام فتح المحال أمام القوى المعارضة للعصيان الذي لم يتوقف حتى عرل سليم الثالث عام ١٨٠٧ ومن ثم قتله عام ١٨٠٨

٤٢ – صحق (Sandjaq) تعبير تركي إداري يشار به إلى ما سميه اليوم (محافظة) مصر مثلاً كانت مقسمة إلى ٢٤ صحقاً . على كل منها « بيك » يسمى سحقدار له بوع من الاستقلالية في صحقه

وهذا ما أدى إلى مجموع اثني عشر ألف جندي تطوعوا أخيراً ، ولتدريبهم سلموا لضباط خبراء ، وكان ملكنا العادل يشرف على ذلك شخصياً ودون انقطاع . وبهذه الطريقة التي شقت على النحو هذا ، نستطيع في السنوات التالية ، وبنفس السهولة ، الحصول على عدد أكبر من العدد السابق المذكور. وقد تشكل فيلق صكتوري من الخيالة الأكثر تدريباً ، دون أدنى صعوبة ممكنة.

تنظيم القوات .

ومن المعروف ان التيمارات[٤٣] كانوا يشكلون أفضل خيالة في الامبراطورية ، ولكن خلال وقت وعبر مدة من الزمن دخلت أخطاء وهفوات إلى أنظمتهم خففت من قدراتهم وحماسهم ، وشلت مؤسساتهم تقريباً . وقد أعطى سلطاننا العادل للتيمارات انتباهه منذ بداية ملكه ، وأحيـا هذا القطاع بأنظمة جديدة ، بقيامه بتصحيح الهفوات التي دخلت عليهم ، وبعد وقت قصير من ذلك أمر بأن يُلحق جزء من قوات المقاطعات هذه بمختلف قوات مشاة الحدود (كما يستخدم عادة ذلك في أوروبا) حتى تخضع للتدريب والأنظمة العسكرية.

٤٣ – تيمارات نوع من الاقطاعات ، يسمى مالكها تيمار يطلب إليه أن يقدم جنوداً وخيالة إلى القوات المقاتلة تبعاً لحجم اقطاعيته

ونتيجة لذلك ألحقت وورعت هذه القوات على الوجه التـالي . مجمـوعة الزعامات[٤٤] والتيمارات التابعة لسنحق أو مقاطعة بولُو ألحقت في حسم لاوند جفتلك وألحقت قوات (هودا فندكيار) (Houdavendıkıar) في حسم صكتوري . وهذا لا يشكل سوى بداية لإتمام العمل المحطط له منذ ذلك الوقت .

واليوم فإن التيمارات والرعامات تشكل جسم الحيالة[٤٥] الدائم في فيلق صكتوري . وهم بالطبيعة حيالة ممتارون ، ويمكنا أن نكوّن فكرة عن كل حصائص الرجال والأحصنة بعد (مشاهدة) التمرين المجبرون على القيام به حالياً ، فإن رشاقتهم وخفتهم الطبيعية المندمجة مع التنظيم المكتسب بواسطة التكتيك ، يجب أن تدهش بدون شك ، في يوم من الأيام ، المقدّرين لهذا الصف من الخيالة .

هده الخيالة تلقت قواعد النظام العسكري ، قواعد وقوانين هذا النظام تفحم كل من يتساهدها : ومن يريد أن يطلع على التفاصيل ، ليس عليه سوى ان يراجعها ، وحدود هذا النقد القصير لا تسمح لنا أن نهتم بالتفاصيل . ولن نثير هنا سوى ملاحظة واحدة ، وهي أن الزعامات والتيمارات ،

---

٤٤ – رعامات مثل التيمارات ، لكنها أوسع وأكبر تقدم أيضاً حيالة

٤٥ – الحيالة ، كانت تعرف باسم السباهي (Spahı)

المنشرحين لوضعهم الراهن، يفتخرون، حسب ما يقولون، بأن يكونوا قد ذكروا في الكتب التي تتحدث عن العصر الذهبي تحت سليم الثالث: وهكذا فان الطريقة الجيدة والثبات لهما تأثير على الأشياء، وقد كان يخشى سابقاً من التفكير بتغيير جذري كهذا. ونستطيع القول بأن لهذا القرن بعض التأثير أيضاً، ولكن ليس هناك غير الرجال الذين بإمكانهم أن يحسنوا التعامل مع الظروف واستغلالها[٤٦].

وقد ارتفع الآن عدد الخيالة الممتازة هذه، التي ألحقت بمختلف الوحدات والقطاعات، من أربعة آلاف إلى خمسة آلاف رجل. ونتيجة لإلحاقهم بالقطاعات النظامية فإنهم يرتدون اللباس الجديد، كذلك فإن ضباطهم يعرفون من الإشارات المميزة لوحدتهم.

كل وحدة تأتي تباعاً، كل ستة أشهر، لتجري التمارين أمام ثكنة القطاع الذي ألحقت به. ولهذا السبب عُين في صكتوري مكان جديد لبناء ثكنة جديدة خاصة لاستقبال هذه القوات التي تصل تباعاً.

---

٤٦ - يشير المؤلف بطريقة غامضة نسبياً إلى تأثير العصر على فكرة الاصلاح. وهو يريد بذلك الإشارة إلى تأثير أوروبا الذي أحس سليم الثالث الاستفادة منه

ثكنات جديدة :

وكثرة التطوع في جميع الجهات دفعت إلى التفكير ببناء أماكن جديدة ، فالثكنات التي حول القسطنطينية لا يمكنها أن تتسع لعدد جديد من الناس . خصوصاً أن غالبية الجنود تذهب إلى العطل . وأن جزءاً كبيراً منهم ممن يعتمد عليه لهذا السبب ، وبنتيجة الأمر ، عرض على السلطان بأنه سيكون من الأفضل من الناحية الاقتصادية أن تبنى هذه الثكنات خارج القسطنطينية . ولهذا ، فقد بنيت في عدة مدن من الأناضول عدة ثكنات واسعة وهي تستخدم كنقاط تجمع للتدريب العسكري . وفي هذه الأماكن المركزية فإن جزءاً كبيراً من القوات في المقاطعات يقوم بتأمين المداومة ، وعليه في نفس الوقت أن يتابع التدريب بدون تواني في الأماكن التي عينت لبناء الثكنات وهي :

المدينة	عدد الجنود
سيدي شاهير	١٥٠٠
دولي . في سنجق كياتي	١٥٠٠
بولو	٢٠٠٠
كيغدة	١٠٠٠
أونغورا	١٠٠٠
كصتاموني	١٥٠٠
المجموع	٨٥٠٠

وبعض هذه الثكنات قد تمَّ بناؤه ، وبعضها الآخر يقرب بناؤه من الانتهاء. والجنود الذين عيّنوا في هذه الثكنات سيكونون دائمين. وبمقدار ما يتأهّلوا للتدريب والتكتيك ، فإنهم سيفصلون لإحلال جنود آخرين.

وعلى غرار هذه المؤسسات التي أُقيمت في آسيا ، ستقام مثيلات لها في الأماكن الأكثر ملاءمة في الروملليي[٤٧] : وهكذا سيبنى بدون تباطؤ في مدينة اندرينابول (Andrınopole) الكبيرة بناء كبير سيكون نقطة تجمُّع لكل الذين سيطوعون في هذه البلاد.

ولتنفيد هذا المشروع الضخم ، كان لدينا السنة الماضية أكثر من اثني عشر ألف رجل في مدن الأناضول المذكورة سابقاً ، غير الذين يشكّلون القوات النظامية في ثكنات القسطنطينية. وإذا تمّت المتابعة على ذات المنوال ، فليس ثمة شكّ بأنه سيكون لدينا وبأكبر سهولة ممكنة قوات نظامية أكثر مما تتطلب الحالة و(الخطة) نفسها. عدا عن ذلك ، يمكن

٤٧ – الروملي (Romélıe) تعبير كان يطلق على الأراضي العثمانية الواقعة في شرق أوروبا

القول، بأن قوات المدفعية[٤٨]، والغرنادية[٤٩] واللغمجية[٥٠] قد اكتملت وتنظّمت بشكل كامل.

أما بالنسبة للبحرية والتقدم الذي أحرزته خلال وقت قصير، فإننا نحيله إلى أصدقائنا من الأوروبيين الذين جاؤوا إلى القسطنطينية والذين كانوا شهود عيان على مدى قوتنا البحرية، ومدى صلابة بناء سفننا. ونرجوهم أن يقولوا مشاعرهم بهذا الخصوص[٥١].

ونفهم من ذلك، من الآن فصاعداً، بأن مركزي لاوند حفتلك وصكتوري سيكوبان المركزين الرئيسين، الأول للروملي والآخر لآسيا. وستكون هذه جميعها مراكز لتخريج الضباط المتنورين الذين عليهم بدورهم أن يدربوا وينظموا المتطوعين الجدد المجمعين في الأماكن المختلفة.

وانه لما يمكن ملاحظته في هذه العاصمة وخارجها، انهم ليسوا الأعيان فقط ولكن عامة الشعب حالياً، لا يسمحون لأنفسهم بالشك في ضرورة قيام الجيوش النظامية.

---

٤٨ – المدفعية Canonniers

٤٩ – الغرنادية (Grenadiers) رماة القنابل

٥٠ – اللغمجية، واضعو الألغام Mineurs

٥١ – ثمة اعتراف من جانب عدد من المؤرخين بتفوق البحرية العثمانية حتى ذلك الوقت، أي نهايات القرن ١٨ وبدايات ١٩

وقد أفادت حالة جديدة في تفتيح أعين العديدين :
سدكرها هنا ، الحتسريون الذين سيتفضلون بالقاء نظرة على هدا المقال لن يكونوا غاضبين ، هذا ما أرجو ، بأن نعود إلى القاء نظرة على الأصل. للفائدة العميمة المتوخاة من وراء ذلك[٥٢].

مبدأ الدولة :

الدولة العثمانية ، إن بسبب المبدأ الإسلامي الذي تتبعه الذي أملى عليها حالة الحرب[٥٣] ، أو بسبب القواعد التي بنيت عليها ، والتي ليست شيئاً آحـر غير الفتوح ، فهي دولة عسكرية تماماً وبشكل كامل. وكل فرد من أفرادها ، حتى ولو كان من العلماء والشيوخ أو الدراويش[٥٤] ، يعتبر محارباً عند الحاجة.

والبلاد والمقاطعات التي تنتمي إلى السلطنة كانت تخضع قديماً إلى سادة مختلفين ، فإن باتحادها تحت ذات السلطة تحقق إندماجها إلى درجة تشكيل جسم واحد· ومع ذلك

---

٥٢ – أحد المقاطع الصعبة الترجمة بسبب لغة المؤلف غير المتينة بالفرنسية

٥٣ – يستخدم المؤلف تعبير (l'état de guerre) ليشير به إلى «الجهاد» في الإسلام

٥٤ – العلماء والشيوخ والدراويش تسميات مختلفة لوظائف متنوعة إبان حكم الدولة العثمانية

فإن الفترة التي لم يكن هذا التضامن بين الأمم قد تحقق بعد، والتحاسد المحتوم بين البقاع المتجاورة لم يكن قد هدأ، قامت من وقت إلى وقت إضطرابات بين الحكام وبين الأشخاص المنظورين في هذه المقاطعات.

والسهولة التي تم بها إيجاد محاربين في كل الجوار، بفعل التشريع الجديد[٥٥] كما أشرنا إليه أعلاه كان وسيلة لتهدئة المشاكل التي تطرأ: أهل الجوار المستخدمون لم يتأخروا، هم أيضاً، بدورهم عن العصيان، فيقمعون بواسطة جيران آخرين لهم، والعكس بالعكس، حتى يصير هذا الاسلوب في كبح المتغطرسين وسيلة مشروعة وشبه قانونية.

السلاطين والوزراء الذين حكموا هذه الأمة لم يبذلوا أي جهد في سبيل تقصي هذه السلبيات التي ينطوي عليها هذا الأسلوب، وسهولة الإجراءات التي جذبتهم: فقد كان بين أيديهم السلاح الضروري لذلك. الدرع، التي برهنت في كل الحالات فعالية لاخضاع الأجزاء المعارضة في الظروف التي تقتضي ذلك.

---

٥٥ – التشريع الحديد المشار إليه كان حديداً معلاً. فقد كانت الدولة العثمانية في التحيد تعتمد، ناحتصار، على تحيد أساء المسيحيين واحصاعهم لتربية عسكرية صارمة، وكانت القوات الانكشارية تتشكل مں هؤلاء وتتبع لفترة مں الرمں على الأقل الطريقة البكتاشية ويقدم مؤلف كتاب المحتمع الإسلامي والعرب تفاصيل قيمة للعاية حول هدا الموصوع راحع

Gıbb and Bowen ıslamıc socıety and the west

والشخصيات البارزة في مختلف المقاطعات ، أفادت من حالة الأوضاع هذه ، فعملوا على استخدام القوة المؤقتة التي أعطيت لهم لتنفيذ الخطط الخاصة والمصالح الذاتية. وبالنتيجة ، فإن هذه الشخصيات ما كانت تفتقد الخدع للإبقاء على أسباب استمرار ذلك ، وأن تكون لهم قوات مدفوعة الأجر موضوعة تحت تصرفهم : وفي مناسبات أخرى ، كانوا يسيئون استغلال الظروف ، فيغتصبون الأوامر الوزارية ويتصرفون بها حسب مصلحتهم بشكل مستمر أو أنهم كانوا يتخطون أو يتجاوزون هذه الأوامر.

هذه هي نتيجة عدم الانتباه ، فإلى أي فوضى عارمة وصلت الإدارة؟

في نفس الوقت ، هذه القوات مجتمعة كانت الحاجة إليها آنية ، فلم يكن بالامكان دفع أجرها ، لذا كانت تنتشر في البلاد من حين إلى آخر غير آبهة بشيء ؛ فلم يكن أمامها سوى ارتكاب الجرائم ، ومن هنا تحولت هذه القوات إلى مخطئة بحق الحكومة ، وبالنتيجة كانت مجبرة ان تصير لاجئة وهاربة في الغابات والجبال ، لكي تنجو من العقوبات الحقة التي تستحقها. ومن هنا اسم دغلي[٥٦] (Daglys) (أي سكان الجبال). أناس بلا شرف ، كانوا يتجمعون في عصابات وقد

٥٦ – دعلي (Daghly) مشتقة من دعل (Daghl) وتعي حبل

سببوا المصائب للسكان مرات عدة. وقد حاولت الحكومة معاقبتهم بنفس الوسائل.

ومؤخراً، سعى أحد زعماء هؤلاء العصاة الأشد شهرة بينهم، وكانت لديه قوات من عدة آلاف من الرجال. سعى لاحتلال قرية بالي (Bally). هادفاً إلى جعلها حصنه الذي يشن منه الغزوات على السهول المجاورة.

وبأمر من السلطان، لم يتم اللجوء إلى الاسلوب المتبع، أي تحريك أحد الولاة، أو إرسال قوات من المقاطعات المجاورة لمحاربة العصاة. ولكن أرسلت مباشرة من العاصمة كتيبة من ألفي رجل من القوات النظامية مع مدفعيتهم، وما أن وصلوا إلى المكان الذي يلتجئ إليه العصاة، حتى أطلقوا ناراً شديدة وأبادوهم حيث هم، ولم تستمر المعركة طويلاً. لقد أبيد الجميع وارتاحت البلاد من العصاة دفعة واحدة.

هذه الحادثة التي وصفناها أعلاه، أتت لتضيف (قناعة) عند الرأي العام حالياً، الذي آمن بالفائدة الكبرى والضرورة التي لا محال منها، وهي تدريب وزيادة عدد الفرق النظامية قدر المستطاع.

إن الرعب المتفشي بين الشعب الذي سببته القطاعات المرتكبة من قبل هؤلاء العصاة من ناحية، والوسائل غير الكافية أو السيئة بالأصح التي وضعت قيد الاستعمال للتشفاء

من هذا المرض، من ناحية أخرى، قد رادت في اعتقاد العامة بأنه لم يوجد في العالم مقاتلون مثل هؤلاء الوغليين، وإن مواجهتهم بالجيش ليست إلا تضحية بالنفوس دون طائل دون القدرة على تصفيتهم.

نستطيع القول هذا صحيح، إن القساوة التي نتجت عند هؤلاء الافراد بفعل العقوبات المتواصلة، والتنقل الاجباري والحروب الصغيرة التي يفتعلوها دون توقف، قد جعلتنا نشبههم بقراصنة الماضي، لذا، فإذا كنا ستطيع الوصول إلى القمة، بتنظيمهم وتدريبهم، نستطيع أن نجعل منهم جنوداً ممتازين.

هذه العصابة إذاً، الخشنة الطباع إلى هذا الحد، هذه البقايا الهاربة من كثير من المعارك المتتابعة والتي كانت معتبرة سابقاً، من قبل جميع الناس، خارج إمكانية القضاء عليها سبب وضعها هذا، حتى استطاع جزء صغير من القوات النظامية فجأة، عددها أقل من النصف، ان يبعثرها ويقصي عليها.

الدهشة كانت عامة، حتى أننا لم نتردد لحظة من الاعتقاد بأننا في وضع جديد للأشياء، أو لنقل أيضاً، في عالم جديد. حيث يجب علينا أن ننسلخ بشكل كامل عن كل الحقبات السابقة.

أنا نفسي، سكران من الفرح لرؤية وطني في الحالة التي أرغبها له بحرارة. منور دائماً وبشكل أفضل بمشتعل العلوم والفنون، لم يكن بإمكاني أن أصمت. والقارئ المحب الذي يحكم على هذه الرغبة القصوى، بعد أن يرى ما كنت أقاسيه والتعويضات التي ذكرتها الآن، لا بد ان يعذرني، بدون شك، ان أكون قد أذهلته لحظة.

مراجــع

— Adıvar, A La science chez les turcs ottomans Parıs 1939
— Berks, N the developement of secularısm ınTurkey Montreal, McGıll unıv press 1964
— Gıbb and Bowen ıslamıc socıety and the west
— Ibrahım efendı traıté de la tactıque Vıenne 1769
— Karal, E Z la transformatıon de la Turquıe d'un empıre orıental en un état moderne et natıonal cahıers d'Hıstoıre mondıal IV (1958)
— Kopprulu, M.F les orıgınes de l'empıre ottoman Parıs 1935
— Lewıs, B The ımpact of the frensh revolutıon on Turkey Cahıer d'Hıstoıre mondıal, 1953
— Lewıs, B The emergence of modern Turkey London 1961
— Mont an, R Istanbul dans la seconde moıtıé de XVII sıècle Parıs maısonueve 1962
— Pıngoud, L Choıseul-gouffıer La France en Orıent sous Louıs XVI Parıs 1887
— Shaw, S Hıstory of the ottoman empıre and modern Turkey 2 vol Cambrıdge Unıversıty press 1976-77
— Shaw, S Between old and new The ottoman empire under Sultan Selım III 1789-1807 Harverd Unıversıty press 1971
— Seıd Mustafa Dıatrıbe de l'ıngenıeur sur l'état actuel de l'art mılıtaıre de genıe et des scıences à constantınople, Parıs 1809
— Toderını, G De la lıtterature des Turcs 1787
— Volney Voyage en Egypte et en Syrıe, Parıs 1959

فهرست

صدر حديثاً عن

المؤسسة العربية للدراسات والنشر

اسم الكتاب	المؤلف/المترجم
الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده	تحقيق د محمد عمارة
◦ الجزء الأول **الكتابات السياسية**	
◦ الجزء الثاني **الكتابات الاجتماعية**	
◦ الجزء الثالث **الإصلاح الفكري والتربوي والإلهيات**	
◦ الجزء الرابع **في تفسير القرآن**	
◦ الجزء الخامس **في تفسير القرآن**	
◦ الجزء السادس **الفتاوى والفهارس العامة**	
الأعمال الكاملة لرفاعة رافع الطهطاوي	تحقيق د محمد عمارة
◦ الجزء الأول **التمدن والحضارة والعمران**	
◦ الجزء الثاني **السياسة الوطنية والتربية**	
◦ الجزء الثالث **تاريخ مصر والعرب قبل الإسلام**	
◦ الجزء الرابع **سيرة الرسول وتأسيس الدولة الاسلامية**	
الأعمال الكاملة لعلي مبارك	تحقيق د محمد عمارة
الأعمال الكاملة للكواكبي	تحقيق د محمد عمارة
الأعمال الكاملة لقاسم أمين	تحقيق د محمد عمارة
الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني	تحقيق د محمد عمارة
رحلات الإمام محمد رشيد رضا	د يوسف ايبش

الإسلام وأصول الحكم	علي عبد الرازق
أسس التقدم عند مفكري الإسلام	د فهمي جدعان
باقات من الإسلام	شوكت الملا
المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية	د محمد عمارة
القرآن نظرة عصرية جديدة	د محمد الفحّام وآخرون
محمَّد نظرة عصرية جديدة	د محمد الفحّام وآخرون
علي نظرة عصرية جديدة	د محمد الفحّام وآخرون
عمر نظرة عصرية جديدة	د محمد الفحام وآخرون
نظرة جديدة إلى التراث	د محمد عمارة
مسلمون ثـوّار	د محمد عمارة
الإسلام وفلسفة الحكم	
١ – الخلافة ونشأة الأحزاب	د محمد عمارة
٢ – المعتزلة وأصول الحكم	
٣ – المعتزلة والثورة	
اللغة والحضارة	د إبراهيم السامرائي
أبو ذر الغفاري (الاشتراكي المطارد)	محمد علي الصوري

صدر حديثاً عن

المؤسسة العربية للدراسات والنشر

اسم الكتاب	المؤلف/المترجم
الموسوعة العسكرية	
(صدر الجزءان الأول والثاني)	المقدم الهيثم الأيوبي وآخرون
موسوعة السياسة (خمسة أجزاء)	د. عبد الوهاب الكيالي وآخرون
موسوعة تاريخ الفن	د. ثروت عكاشة
- **الفن العراقي القديم**	
- **التصوير الاسلامي**	
- **الفن الفارسي** (قيد الطبع)	
موسوعة العناية بالطفل	د. سبوك
	ترجمة إيلي لاوند وعدنان كيالي
موسوعة العلماء والمخترعين	د. ابراهيم بدران / د. محمد فارس
موسوعة علم النفس	إعداد د. أسعد رزوق ،
	مراجعة د. عبد الله عبد الدايم
الموسوعة الجغرافية (قيد الطبع)	د. صفي الدين أبو العز وآخرون
موسوعة الحضارة العربية (قيد الإعداد)	نخبة من كبار المفكرين العرب
الموسوعة الاقتصادية (قيد الإعداد)	د. لبيب شقير وآخرون

«هذا المؤلف نوع من الظاهرة الادبية التي تبدو انها تنبىء ببعث شعب كبير»، هذا ما قاله الناشر الفرنسي لهذا الكتاب في مقدمته. ترى ما نوع الاصلاح العثماني الذي يتحدث عن هذا الكتاب، هل هو اصلاح عمراني، ام حضاري، ام صناعي، ام ادبي، ام انه اصلاح من هذه المواضيع مجتمعة؟

اغلب الظن ان الكتاب يتناول اكثر من ذلك، انه يتحدث عن سلطان كان همه نشر المعرفة والعدل بين الناس، ذلك هو السلطان سليم الثالث الذي فهم بأن الطباعة هي الوسيلة الوحيدة لاخراج شعبه من ظلمات الجهل الى انوار المعرفة، فكان ان انشأ في القسطنطينية مطبعة من اوائل مطابع العالم، كان ذلك ١٧٢٧، وفيها طبع الكثير من الكتب الافرنسية والانكليزية والعربية والتركية وكلها تدل على مدى الاصلاح العثماني الذى بلغته السلطنة في زمن من الازمان.

المؤسسة العربية للدراسات والنشر
بناية برج الكارلتون ـ ساقية الجنزير
ت: ٣١٢١٥٦ ـ برقياً: موكيالي، بيروت
ص. ب. ١١/٥٤٦٠ بيروت

الثمن: ٥ ل.ل.

الفن العسكري والهندسة والعلوم في القسطنطينية ١٨٠٣ — خالد زيادة — المؤسسة العربية للدراسات والنشر